جناية الشعر الحر

أحمد فرح عقيلان

نادي أبها الأدبي

هذا الكتاب

لم يتعرض الشعر– منذ ظهر كأعظم وسيلة أدبية للتعبير عن الوجدان – لمحنة كالتى تعرض لها الشعر العربى فى العصر الحديث.

لقد تغالى بعض الشعراء فى الهجاء . وأغرق البعض الآخر فى الوصف.. إلى غير ذلك مما يؤخذ على بعض الشعراء فى مختلف العصور.. ولكن شعر هؤلاء جميعًا كان شعرًا بمعنى الكلمة.

ولكن الشعر الحديث – الذى ليس بشعر ولا بنثر– سرطان خبيث تسرب إلى الأدب العربى فى منتصف هذا القرن ، على يد جماعة زعموا أنهم مجددون بينما هم جناة على الشعر والأدب.

وقد انبرى مؤلف هذا الكتاب بشجاعة لنقد هؤلاء «المجددين» وإظهار مافى شعرهم من سلبيات ، كما تعرض لذكر بعض الجهود التى بذلت لهدم لغة الضاد ، وتشويه آدابها بين عجز علمائها وجهل بعض أبنائها.

فالكتاب بحق ضربة قاصمة لكل أعداء اللغة والدّين.

الناشر

نادى أبها الأدبي

جناية
الشعر الحر



نادي أبها الأدبي

جناية الشعر الحر

أحمد فرح عقيلان

الطبعة الأولى
١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م

الإشراف الفنى
عبد السلام الشريف

تقديم

الصّراع بين القديم والجديد أزلى .. وهذه سنة الحياة فالحاضر اليوم سيكون الماضى غدًا .. والليل والنّهار متعاقبان ، والعجلة دائرة ومن هذا المنطلق كان الجدل ولايزال محتدمًا بين ماسُمى بأدب « الشيوخ » وأدب « الشباب » والواقع أن هذا التقسيم لامبرر له وبالتالى لافائدة ترجى من ورائه ..

والتطوّر إلى الأفضل منشود ومرغوب .. أمّا أن ننجرفَ وراء الحداثة مهما كانت غَثةً .. ونتجاهل تراثنا الأصيلِ فهذا مايجب أن نقف بصلابة ضدّه .. والأستاذ

الشاعر أحمد فرح عقيلان الّذى لم يتخذ موقف المتفرّج من هذه المعمعة بل تصدى لها بشجاعة .. أراد بهذا الكتاب أن يكون دعوة صريحة لوقف الانسياق وراء بعض الأفكار التى تتنكّر للغتنا الشاعرة وأدبنا الرّفيع ، وهو بذلك قد فتح الباب على مصراعيه للحوار النّافع ..

وإيمانًا من النّادى بحرّية الكلمة الهادفة للوصول إلى الأفضل حرص على أن يجعل هذا الكتاب ضمن إصداراته ونحن على يقين بأنّ البقاء للأصلح .

والله ولى التوفيق .

إدارة النّادى

الإهداء

إلى كلِّ أديب يؤمن بالله ،
ويغارُ على القرآن ،
ويعتزُّ بلغة العرب ،
ويتَبَنّى مكارمَ الأخلاق .

جناية قاتلة

أعترف أنى أكتب هذه الورقات وأنا ثائر منفعل ، يكاد يسطو بي الكمد ويكاد يقتلنى الغضب ..

وكيف لا أغضب والجناية قد أصابت المقتل ، والجُناة مصممون أن يجهزوا على الضحية الزكية ، مصرون على المضى فى تخطيطهم الفظيع الظالم بإملاء من الشياطين وإيحاء من الحاقدين .

وكلمة حق لابد منها برغم أنف الغضب وهى أن الجُناة مخلصون لباطلهم إخلاصًا يستحق الإعجاب ، متحمسون

للهدم حماسة تتضاءل أمامها حماسة إبليس للضلال ، إنهم يهجمون على أيّ ناقد يعارضهم هجمة الذئاب الشرسة الجائعة على القطيع .

أذكر على سبيل المثال أسلوبهم العاقّ فى الهجوم على أستاذتهم نازك الملائكة .. فلقد كانت نازك إلى عهد قريب فى نظرهم قدّيسة الشعر الحر ورَائدة نشوئه وارتقائه .. لكنّ هذه الشاعرة أدركت فيما بعد أن آراءها فى الشعر الحر فُهمت فهما سيئًا وجرّت على الشعر ويلات كبيرة حتى لقد استباحه كلُّ جاهل وسامه كلُّ مفلس وركض فى ساحته كلُّ هزيل .. هنالك أرادت هذه الأستاذة أن تكفر عن سيئتها بايضاح بعض الحقائق وأصدرت كتابها المعروف (قضايا الشعر المعاصر) تعلن فيه أن الوزن أمر لايستغنى عنه الشعر العربى حتى الحر منه .. وأنَّ كلَّ ماصدر عنها من شعر كانت له تفعيلات وأوزان ملتزمة ، إلا أنها أوزان لاتتقيد ببحور الخليل .

هنالك جُنّ جنون العصابة المتآمرة فقذفوا قِدِّيستهم بأقذع الشتائم ورموها بأخطر الجرائم ، حتى لقد وصف البياتى كتابها بقوله :

(كتاب تافه متهافت يمتاز بالتسرع والسطحية والأحكام الميكانيكية) ويعنى بالميكانيكية الخالية من العقل .. وكتب يوسف الخال مقالا فى العدد ٢٤ من السنة السادسة من مجلة (شعر) وهى مجلة مشبوهة تصدر فى بيروت وتنطق بلسان عصابة الشعر الحر يقول : (إن آراء نازك فى كتابها « قضايا الشعر المعاصر » هى آراء ارتدادية مترمتة خانت بها حركة الشعر الحر التى تدعى اكتشافها) لقد بلغ من حماسة يوسف الخال للشعر الحر أن وصف نازك بالردة والخيانة . والأمر الذى يحز فى نفسى هو أنه بمقدار تألُّب هؤلاء المبطلين وحماستهم حول باطلهم كان تصدع صفنا من حول حَقِّنا . فلقد سخرنا منهم أول الأمر كما سخرت الأرنب، من السلحفاة لكنّ السلحفاة ظلت جادة أثناء نوم الأرنب حتى بلغت نهاية الشوط ومازالت الأرنب تنعم بنوم عميق .

نعم لقد وصل دعاة التجديد كما يحلو لهم أن يسمّوا أنفسهم إلى أهدافهم المخربة . فأثخنوا شعرنا الأصيل الجميل وأفقدوه شعبيته وصرفوا عنه عشاقه وأطاحوا بمجد أدبى شامخ . شعَّ من منارة شعرنا الحبيب المؤدب الطريف الممتع من لدن ذى القروح

وجرول عبر المعلقات والنقائض والهاشميات والزهديات
والروميات والحجازيات واللزوميات والشوقيات وعبر العباقرة
الذين يضن بهم الزمان ولايجود بهم إلا فى الحقب المتباعدة
كالمتنبى وشوقى رحمهم الله .

أقول لقد انتصر أهل الباطل فعلا على حقنا . وحسبك أن
تلقى نظرة على صحافتنا الأدبية وملاحقها الكئيبة لترى كيف
تبدلنا بسحرنا الحلال وشعرنا المطرب المعجب سفسطة توشك أن
تكون رطانة لاهى بالشعر ولاهى بالنثر .

تعصرها فلا نرى فى عصارتها إلا الغموض والتقليد والوثنية
والخرافة والسم والشبهات .

ومعاذ الله أن يكون كلامى هذا ثورة على الإبداع . فقد
كنت ومازلت أطرب لكل تجديد يضيف إلى أدبنا جديدًا .
لكنّ نقمتى موجهة إلى التقليد الأعمى والعبودية الثقافية
والانجراف فى تيار الفكر الخبيث الموبوء الثائر على الفضائل .

لقد جدّد شوقى رحمه الله فطربنا لتجديده لأنه حافظ على
شخصية شعرنا . ثم أضاف إليه جديدا فى القوالب
والموضوعات والملحمة والمسرحية فكان بحق أمير الشعراء .

وجدد أتباع مدرسة أبولو ومدرسة المهجر ومدرسة الديوان
وغيرهم فرحب الأدب بتجديدهم لأنه كان تجديدا ولم يكن
عبودية .

أولئك كانوا كالمقتبس الذكى الذى يتعهد تراثه وتلاده
بالإصلاح والإنماء والممارسات الذكية ثم يضيف إليه طارفا
بالسعى الدءوب والجهد المثابر الكسوب .

أما هؤلاء الخَلف الذين خلفوا من بعد أولئك فقد اتخذوا
من التجديد معول هدم ومؤامرة لؤم لإطفاء نورنا وإهانة تراثنا
وإذابة شخصيتنا حتى لقد نشأ بمساعيهم جيل من الشعراء
لايدرى شيئا عن بلاغة القرآن الكريم وروائع الأدب الرفيع
وكلٌّ بضاعته قال اليوت ويونج وكولردج وهِلَر وغيرُهم ممن

وضعوا نظريات قد تصلح لمجتمعاتهم ولكنها لاتصلح لمجتمعنا ولا لأمتنا .

وإن شئت أن تدرك مدى الخسارة الفادحة التى عصفت بكل العناصر الفنية فى شعرنا فاقرأ معى هذه المقطوعة وهى من باب الشكوى فى الشعر الحديث من ديوان (الأرض والدم) ص ٩٩ وعنوانها (عذابات سرية) لأحد أئمة الشعر الحر محمد عفيفى مطر لترى المستوى الذوقى للشكل الجديد .. يقول هذا الشاعر الحر .

شربت مرق الأحذية المنقوعة
فى الخوف والنحيب
أكلت مايخبزه الأسفلت (يعنى الزفت)
فى جوفه من حنطة التعذيب

وهذه مقطوعة أخرى لشاعر آخر وعسى ألا تفعل بالأخ القارئ مايفعله زيت الخروع ..

فى حذائى مسمار ، وفى ذقنى شوكة
هذى ممتلكاتى ، افتح الشمسية والقنانى
انزلج فى الجغرافيا ، فى عنق زرافة اصطياف

ناشدت الله ضمير القارئ أن يفتينى أشعر هذا أم صديد ؟ ! وبالمناسبة فالقطعة الثانية هى مما أعجب به المروجون وهى لشوقى أبو شقرا بعنوان (حجر فى سروال) وقد نشرتْها له مجلة شعر فى عددها السادس للسنة السابعة ١٩٦٣ م على أنها فتح وإبداع .

أهذا هو البديل من وجدانيات أبى الطيب اذ يشتكى دهره كما أراد هذان الشاعران أن يشكوا دهرهما ؟ !.

أهذا هو البديل لقول ذلك العبقرىّ الحكيم الأمين على الأخلاق من قصيدة ممتعة له عنوانها شكوى ..

بم التعللُ لاأهل ولا وطنُ ولاأنيسُ ولاجارٌ ولاسكنُ
أريدُ من زمنى ذَا أن يُبلِّغَنى ماليسَ يبلُغُهُ من نفسِهِ الزّمنُ

مَا كلُّ مايتمنَّى المرء يدركُه   تجرى الرياحُ بما لاتَشتهى السُفن

أم هذا هو البديل بقول ابن زهر حين اشتكى الشيب فرسم للشكوى لوحة فنية إذ يقول :

إنى نظرت إلى المرآة إذ جليت   فأنكرتْ مقلتاى كل مارأتا
رأيت فيها شيخًا لستُ أعرفُه   وكنتُ أعهدُ فيها قبل ذاك فتى
فقلتُ أين الذى بالأمس كان هنا   متى ترحَّلَ عن هذا المكان مَتَى ! !
فاستضحكتْ ثم قالتْ لى تغالطنى   قد كان ذاك وهذا بعد ذاك أتَى

أم هذا الكلام عوض عن شكوى العباس بن الأحنف اذ يشتكى الهجر فيقول :

نزف البكاءُ دُموعَ عينك فالتمسْ   عينًا لغيرك دمعُها مدرارُ
من ذا يعيرك عينه تبكى بها   أرأيت عينًا للبكاءِ تعار ؟

وحسبك بهذه العينةِ من المنجم لتعرف سائر المعدن الكريم .

لقد كنتُ أخلو إلى الشعر العربى المتناثر فى أمهات كتُب الأدب وبخاصة (كتاب الأغانى) فأشعر كأنى فى بستان متنوع الفتنة من زهر وثمر وأعشاب ودوْح ونَجْم وشجر ، كان

يضحكنى ويبكينى ويغضبنى ويرضينى وهو فى كل ذلك ممتع ، وأجمل مايعجبنى فيه صدوره عن نفوس شاعرة حقًّا وصدقًا ليست مزيفة الشاعرية ، وحتى أولئك الأعراب الذين كانت تقذف بهم الصحراء إلى شوارع المدن وقصورها كانوا فى شعرهم مصدر إمتاع عجيب للناس والرواة والخلفاء لأنهم فعلا كانوا شعراء .. مرَّ سليمان بن عبد الملك على أعرابى يمشى وراء إبله وقد أمحلت الأرض وانقطع المطر فسمعه يصيح مخاطبًا ربّه جل وعلا :

ربَّ العبادِ مالَنا ومالكا   قد كُنْت تسْقِينا فما بَدا لَكَا ؟
أنزِلْ علينَا الغيثَ لاأبالكا

فقال سليمان وهو يبتسم .. أشهد أنه لاأبا له

واليوم أشترى أربعين ديوانا من الشعر الحر .. فأتجرع فى قراءته الصبر المرّ ، وبعد العناء لاأفوز منها بطرفة أو نكتة أو حكمة أو فائدة لغوية .. وليت الأمر يقف عند ذلك فهى فى معظمها اغراء لقارئها أن يكفر بقومه ولغته وتراثه ويتبدل بها آراء الأعداء ونظريات الملاحدة وهمزات الشياطين .

أقسام الشعر الحر الحديث

قبل أن نحدد موقفنا من الشعر الحديث أرى أن أوضح ألوانه الثلاثة .

فاللون الأول : هو الذى له وزن على هيئة تفعيلة ملتزمة وتبرز فيه القوافى أحيانا .

واللون الثانى : هو الذى له تفعيلة وليس له أية قافية .

واللون الثالث : هو الذى لاوزن له ولاقافية

فمن نماذج النصف الأول قول نزار من قصيدته (رسالة من تحت الماء) :

إن كنت قويًّا أخرجنى من هذا اليمْ
فأنا لاأعرف فنَّ العومْ
الموج الأزرقُ فى عينيكَ يجرجرنى نحو الأعمقْ
وأنا ماعندى تجربة فى الحب ولاعندى زورقْ
إنْ كنتُ أعِزُّ عليك فخذ بيدى
إنى أتنفسُ تحت الماءْ
إنى أغرقْ
أغرقْ أغرقْ

فنزار فى هذه القصيدة لايحيد عن تفعيلة واحدة وهى تفعيلة البحر المتدارك (فَعِلُنْ) ولكنَّه يزيد فيها وينقص غير متقيد بالبحر المتدارك .. ثم إن للقصيدة قوافى تبرز أحيانًا وتختفى .

وكل شعر السياب تقريبًا من هذا القبيل كقوله من قصيدة عنوانها (الوصية) يوصى زوجته بابنه غَيْلان فى مَرَض موته وهى من ديوانه (المعبد الغريق)

كونى لغيلان رضىً وطيبهْ
كُونى له أبا وأمًّا
وارحمى نحيبَهْ
وعلميهِ أنْ يذيلَ القلبَ
للفقيرِ واليتيمِ
وعلميه .

فبدر هنا أَيضًا يلتزم تفعيله واحدة هى (مُنفْعِلُنْ) تفعيلة الرجز ولكنه لايلتزم العدد المطلوب منها ثم هو يراوح فى القافية .

أما اللونُ الثانى وهو شعر التفعيلة بلا قوافٍ فأمثلته كثيرة كقول فَدْوى فى المقطع الأول من قصيدتها بعنوان (الفدائى والأرض)

أجلسُ كى أكتبْ
ماذا أكتبْ
ماجَدوى القولْ
ياأهلى يابلدى ياشعبى

ما أحقَر أن أجلسَ كى اكتبْ
فى هذا اليومْ
هل أحمى أهلى بالكلمهْ ..
كلُّ الكلمات اليوْم
ملح لايورقُ أو يزهِر
فى هذا الليلْ

فقد التزمتْ فدوى طوقان نوعًا من تفعيلة المتدارك ، لكنها انفلتت من القافية نهائيًّا .

أما النوع الثالث وهو المنثور الذى لا أثر فيه لوزن أو قافية ، فقد صدرت منه دواوين كاملة لأمثال الماغوط وأنسى الحاج وبعض السعوديين

ومنه قول أدونيس من قصيدة لم أفهم منها شيئًا وهى من ديوانه (ديوان التحولات والهجرة)

الزمن فخار
والسماء طحلب

أصير الرعد والماء والشيء الحي
وحين تفرغ المسافات حتى الظل
أملؤها أشباحًا تخرج من الوجه والخاصرة
وترشح بالحلم وذاكرة الشجر
وحين لاتواتيك الدنيا
ألهو بعيني ليزدوج فيها العالم

وجميع الديوان المذكور من مثل هذه الطلاسم المشبوهة .

والحق أن اللونين الأولَيْن من ألوان الشعر الحر يمكن أن يَهضمهما الشعر العربيّ **لا كبديلين بكلّ الأوزان** ولكن كوزنين جديدين يضافان إلى بحورنا القديمة لتصبح ثمانية عشر بحرًا بعد أنْ كانت ستة عشر.

أما اللون الثالث الذى أوردنا نموذجه من شعر أدونيس فان الشعر العربى لايعترف به ولايُعطيه اسم (شعر) لأنَّ العرب عبر العصور يعدون مثل هذا القول نثرا ، فهو لايملك أىَّ نفحة أو مقومةٍ أو ركن من أركان شعرنا العربى ، بل إنَّ خطب أكثم

ابن صيفى وقسّ بن ساعدة ورسائل الجاحظ وابن العميد ومقالات الرافعى ورسائله فى وحى القلم وحديث القمر ورسائل الأحزان ونثريات الزيات فى وحى الرسالة وآلام فيرتر كل هذه فيها من التقسيم الموسيقى والإبداع الفنى والأصالة اللغوية والحلية الشكلية أكثر بكثير مما فى هذه القصائد النثرية ، ومع ذلك لم يدّعِ أىّ من أصحابها أنها شعر لأن شعرنا العربى عبر القرون له طابع مميّز وشخصية واضحة تميزه عن النثر مهما كان النثر فنيًّا ..

إنّ أدعاءهم بأنّ هذا اللون شعر سيتبعه ادعاء خطير جدًّا لأن القرآن الكريم له من الايقاع أكثر مما لهذه القصائد المنثورة ، فإذا اعتبرنا هذه المقطوعات شعرا فسوف يأتى من الملاحدة من يقول أن القرآن شعر وقد يكتب آيات وكلمات من القرآن بعضها تحت بعض ثم يحكم أنها كالشعر المنثور مع أن الله جل وعلا نفى أن يكون القرآن شعرًا أو أن يكون محمد – صلى الله عليه وسلم – شاعرًا فقال جلّ من قائل (وَمَاهُوَ بِقَوْل شاعر قليلاً ماتُؤمنونَ)[1] وقال عن نبيهِ الكريم (وما علّمناهُ الشعرَ

(١) الآية ٤١ من سورة الحاقة

وما ينبغى له إنْ هُوَ إلا ذكرٌ وقرآنٌ مُبين) [١] بل إنَّ الوليد بن المغيرة حين أعجب بالقرآن قال لقد سمعت مِن محمد كلامًا ماهو بالشِّعر ولابالكهانة ..

وإلى القارئ هذا النموذجَ من نثر الرافعى من مقدمته لكتابه (تحت راية القرآن) يقول رحمه الله :

اللهمَّ جنبنا فتنة الشيطان
أن يقوى بها فتضعُف
أو نَضعفَ لها فيقوى
اللهمَّ لاتحرمنا من كوكب هداية منك
فى كل ظلمة شكٍّ منا
نسألُك بوجهك
ونتوسل إليكَ بحمدك
وندعوك بأفئدة عرفتْك
حين كذَّب غيرُها فأقرّتْ

(١) الآية ٦٩ من سورة يس .

وآمنتْ بكَ
حين زُلزلَ غيرُها واستقرَّتْ

إن هذا النثر الفنى من أدب الرافعى فيه من الموسيقى أكثر مما فى الشعر المنثور المزعوم ومع ذلك لم يَدّعِ الرافعى رحمه الله أن نثره هذا شعر .

لأن الشعر عند العرب منذ القدم كلام موزون متميز تجيشُ به الصدور على الألسنة .

إن رسالتَىْ ابن زيدون الجدّيّة والهزلية قريبتان جدًّا لروح الشعر ولكن شعرَ ابنِ زيدون فى ديوانه شىء ورسالتيه شىء آخر ، لنستمع إليه وهو يسترقص القلوب حين ينشد :

ياليت شعرى وفى كانون فَارقنى ... قلبى وهَا نحن فى أعقاب تشرين
والله مافارقونى باختيارهمُ ... لكنَّه الدهرُ بالأقدار يَرْمينى
ولاتبدَّلتُ حُبًّا غيرَ حبهمُ ... إذَنْ تبدلتُ دينَ الكفر من دِينى

* * *

شُبُهاتٌ حولَ التَّجديد :

لقد تعلقتُ من صغرى بالشعر ونظمتهُ ووجدتنى لاشعوريا أعجب اعجابًا شديدًا بالمتنبى من القدامى وبشوقى من المعاصرين .. وكان يعجبنى فى شعرهما خصائصُ ظللت أتطلَّبها فى كل شعر .

الأولى : رُوح الجدية والأخلاق فأنت فى شعرهم مع تطلُّعاتِ الإنسانية وطموحاتها وآمالها وآلامها .

والثانية : ديباجةُ اللفظ ورونقُه ووضوحُه وخلُّوه من الخطأ فأنت من شعرهما فى ذخائرَ لغَوِّية .

والثالثة : تنوعُ الموضوعات بين الغزل والحكمة والوصف والحماسة والرثاء والشكوى والوجدانيات الحلوة .

والرابعة : تلك التجارب الصادقة التى تُحدِّث الناس عما فى نفوسهم بلا غموض ولاإغراق فى الخيال .

والخامسة : نصاعةُ المعنى وسطوعه وشعبيته حتى إنك لتسمع عجوزًا أمية تنشد لأبى الطيِّب وهى فاهمة لما تُنشد :

إذا أنتَ أكرمتَ الكريمَ ملكتَه وإن أنتَ أكرمتَ اللئيمَ تمرّدا

وتنشد لشوقى :

ومانيلُ المطالب بالتَّمنّى ولكنْ تُؤْخذ الدنيا غِلابَا

ثم لما جاءت حركات التجديد أقبلت على الجديد بِنَهم شديد إليه يدفعُنى إليه حبُّ الشعر ، ولمَّا قرأتُ الكثيرَ الكثيرَ من شعر المتصدرين للتجديد ومن نَقْدِ النقاد الجدُد ، أحسست

بصدمة شديدة خرجتُ على إثرها بنتيجة اثبتتْها بعد ذلك الأيام :

وهى أنَّ وراءَ هذا التجديد مؤامرة هدم لأدبنا وثورة على تراثنا . ولقد أكد لى هذه الحقيقة إنى درست نفسيات معروفة من زعماءِ التجديد فلمَّا كشفت عن وجوهها أقنعة الزيف إذا وجوه شوهاء كالسَّعالى فى أعينها بريق الشيطان . وفى أنيابها سُموم الموت ، وفى قسماتها جذام الطاعون .

وإنى إذ أكشف هذه الحقيقة بوقائع وأرقام أشهد الله أنى لاأريد أن أبدأَ على إنسان بل إنى لأدعو أدبار صلواتى لكل الإنسانية بالهداية . ولكنْ حين أرى مخالب المؤامرة تمتد إلى كيانى ومجدى ودينى أعتقد أنّ كشف الأقنعة قد أصبحَ فرضا يحتِّمه الدين . وكيف لا أنبِّه أَبْناءَ أمتى إلى حبائل سوء تحتَ أقدامها إنْ لم اكشفْ لهم مواقعَها فقد تلتفُّ حول أعناقهم وتُرديهم . ولهذا وبدافع من إيمانى وحرصى على تراث الإسلام أضع أمام القراء الحقائق الآتية :

١ – واكبتْ حركة الشعر المنثور حركة أخرى مريبة بل مجرمة ، وهى الدعوة إلى اللهجات العامية والحروف اللاتينية ، وهجر اللغة الفصحى والحروف العربية ، بدعوى أنها عاجزةٌ عن توليد أسماء للمصطلحات الحديثة فى حقل الفنون والصناعة والتكنولوجيا ، وأنَّها معقدة الصيغ صعبة الإملاء ، وقد أثبتت الأيام فيما بعد أن مرّوجى تلك الأكذوبة لهم انتماءات مشبوهة من موال للاستعمار أو عضو فى محفل ماسونى أو عميل شيوعى ، والغريب أن تلك الأصوات الغربانية صدرت عن رجال كانتْ لهم دعاية هائلة فى حقول الأدب والفكر والاجتماع وكان لى وللجماهير فى بعضهم ثقةُ واحترام .

منهم سلامة موسى وهو مسيحى مصرى ، وسعيد عقل وهو مارونى لبنانى والأمر الأدهى أن منهم بعض من دُعوا أساتذة الجيل كلطفى السيد وعبد العزيز فهمى اللذين ناديا جهارا بأنْ تستقل مصر بقوميتها وعاميتها وتتطلع إلى أوروبا وتقطع صلتها بالشرق وأنْ تستبدل بالحروف العربية حروفا لاتينية ، والغريب أنَّ التيار جرفَ العباقرة عن حسن قصد أو عن سوء قصد . فكتب الدكتور طه حسين والعقاد يروجان للقومية المصرية

والفرعونية ونادى قاسم أمين محرر المرأة على حد تعبير الدعاية بالغاء قواعد اللغة وان تلفظ الكلمات كلها ساكنة .

وكنت أتعجب كثيرا من هذه الدعايات المرتدة والدعوات الهدامة كيف تصدر عن هؤلاء الأعلام . حتى اتضح لى فيما بعد أن هؤلاء أو معظمهم قد قيّض لهم العدوُّ قرناء فزينوا لهم أفكار الشيطان . وقد عرفتُ من بين قرنائهم القاضى البريطانى المستشرق وِلْمُور الذى اشتعل حماسا وإخلاصًا لهذه الدعوة حتى لقد بادر بوضع قواعد للهجة المصرية ، وكتب يتغزل فيها بأنها لهجة حلوة عذبة سهلة يمكن مع بعض التعديل أن يُستغْنى بها عن العربية الفصحى ومافيها من صعوبة وتعقيد .

وعرفت اسما بريطانيا آخر هو وليم ولكوكس الذى كان يعمل بمصر ، فقد ترجم الإنجيل إلى العامية المصرية ليخرج التجربة الماكرة إلى حيز التنفيذ . ولكن المستعمرين لم يلبثوا أن أدركوا أن العرب لايؤمنون بكلام الدخلاء .. هنالك خلوا إلى شياطينهم وعملائهم من العرب ليقوموا بنقل الوباء نيابة عن أسيادهم المستترين ويمثلوا دور ببغاوات تُردد مايملى عليها .

وعلى الرغم من نفوذ الاستعمار والمراكز العالية التى كان يحتلها أعوانه فقد يسّر الله للغة القرآن من يدافع عنها من الأدباء المؤمنين كالرافعى والزيات وحافظ إبراهيم فارتد كيد الكائدين إلى نحورهم ومازادت دعوات الهدم لغتنا إلا رسوخًا وشموخًا .. وثبت على طول الزمن أن لغتنا بفضل الله محفوظة بحفظ القرآن وأن كلًّ من ناصبها العداء لم ير خيرًا وحسبك أن تتأمل وضع تركيا الآن بعد ان هجرتْ الحروف العربية إلى الحروف اللاتينية لترى أن هذا الإجراء ما أفادها فى قليل أو كثير فى أى ميدان من ميادين العلم أو الفكر أو الأدب أو الصناعة أو المجتمع ، وكم تمنينا لو تعود تركيا إلى الكتابة العربية إذَن لجعل الله لها يسرا من الأزمات وودًّا فى القلوب .

الحقيقة الثانية : هى أَنَّ الأدبَ فى أوربا يصوّر التناقضات والتقلبات السياسية والاجتماعية والدينية فى مجتمعات مسيحية أو ملحدة ، وعلى الجملة فهو رد فعل للنظريات الاجتماعية التى سادت أوربا كالوجودية والماركسية والرأسمالية واللاانتمائية ، ولهذا فقد تضاربت مقاييسُه النقدية أيضًا ، فهناك من مذاهب الفن والنقد الاتجاهات – الكلاسيكية – والرومانسية

والتومائية والوجودية والليبرالية والنيوكلاسيكية والماركسية والفرويدية واليونجية والبرناسية والفن للفن والسيريالية أو التجريدية والإيماجية أو التصويرية وغير ذلك كثير منه مايصعب على العربى نُطقه .

ونحن نفهم أن يأخذ شاعر فرنسى أو انجليزى أو ألمانى بإحدى هذه النظريات فيكون فى مذهبه الفنى سيرياليا أو فرويديًا أو شيوعيًا ولكن ما شأننا نحن العرب ونحن بحمد الله قد أكرمنا الله فظللنا على رغم الشدائد مؤمنين مسلمين .. مامعنى أن نسمع من شاعر سعودى بأنه سيريالى أو تجريدى أو لامُنْتمى ، إنَّ هذه المذاهب الأدبية الثلاثة كانت رد فعل للوجودية التى حاربت القيم الاجتماعية والأخلاقية المتعارفة ودعت إلى التحلل من كل قيد اجتماعى فكان من نتاجها أندية العراة .. فهل نأخذ دون تمحيص أو تفكير مثل هذا الاتجاه الهدام لالسبب إلا ليقول الناس عنا أن هذا الأديب متأثر بالادب الأوربى ، وإذن فهو مثقف ومتحضر .

يقول الأستاذ الزيات : إن ماطرأ على أدبنا فى عصوره

الأدبية المتلاحقة هو التجديد الحقيقى .. ففى الأدب الإسلامى تجديد ، وفى العباسى تجديد ، وفى الأندلسى تجديد ، وفى الأدب الحديث تجديد ، أما ماطرأ على الآداب الغربية فلم يكن تجديدًا بمقدار ماكان ردود فعل للنظريات المتضاربة .

نحن فى الشرق لاتنقص شعرنا الموسيقى فهو ناضج موسيقيًا ولكن تنقصه الأفكار الباعثة نحو الكرامة والتجارب الثقافية الواسعة ، فلماذا نجعل كل تجديدنا منصبًّا على هدم الموسيقى الشعرية وإفراز الغموض وصيحات الانحلال ، ان هذا لايمكن أن يسمى تجديد مبصرًا وأولى أن يسمى تقليدًا أعمى .

الحقيقة الثالثة : كثير من الشعراء والنقاد الذين حملوا حملات التجديد وفرضوا على أدبنا هذا البلاء العتيد أقول كثير من هؤلاء لا أطمئن إلى ماضيهم ولا إلى عقيدتهم وسأكتفى بكشف النقاب عن خمسة أسماء يعتبر أَصحابها من أبرز أعلام التجديد والشعر الحر سائلا الله أن يهدى من بقى منهم حيًّا ويسلم أدبنا ولغتنا وقرآننا وتراثنا من شرور دعواتهم .

ولن أتعرض للأخلاق الشخصية فى هؤلاء ولو علمت أن أحدهم بذَّ أبانواس فى المجون والخمر والنساء ، فتلك أمور يظلم بها المرء نفسه وماله وصحّته ولكنْ حينَ يصل الأمر إلى إفساد أولادى وإغرائهم بالانحلال والانحراف فإذ ذاك تصبحُ الصراحة فرضًا والنصيحة دينًا والسكوت جريمة .

(ا) الأستاذ بدر شاكر السياب وهو أبرز أولئك الأشخاص كان رحمه الله شيوعيًّا خطيرًا منذ نعومة أظفاره حتى عام ١٩٦٠ وهى السنة التى فيها أعلن توبة عن الشيوعية ، تاب الرجل ولكن بعد أن نظم أشهر دواوينه وأبعدها انتشارًا أثناء تلك الفترة المشبوهة من حياته .. لقد نظم أَنضج شعره وهو فى أوج حماسته للماركسية ، وأعنى دواوينه الأربعة التى يعدها النقاد قمة اندفاعه العاطفى وأجود إنتاجه وهى . حفّار القبور ، والمومس العمياء ، وأنشودة المطر ، والأسلحة ·والأطفال .

والسؤال الآن – كيف أطمئن إذا رأيت ولدى أو تلميذى يقرأ هذه الدواوين وأنا موقن أن الشاعر نظمها وهو معلق الولاء بمذهب نصفه هدم وباقيه كفر والحاد ..

وحتى بعد أن تاب بدُر غفر الله له وأعلن رجوعهُ عن الشيوعية ، وحين رأى المرض الخطير يحيط به من كل جانب ونظم دواوينه الثلاثة التى تعتبر بوادر أوبه إلى الحق ، ومعالم توبة إلى الله .. أقول حتى فى هذه الدواوين الثلاثة ترى لهجة لاتخلو من صيحات إنكار وحيرة وتساؤل وثورة على الله .. تسمعها بوضوح فى (سفر أيوب) و (المعبد الغريق) و (أمام باب الله)

(ب) أدونيس – نشأ فى جبل العلويين بسوريا وكان اسمه فى طفولته وصباه ومطلع شبابه على أحمد سعيد ، وقد استهل سجله الوطنى منتميًا ثم تحول الى (لامنتمى) غير أن انتماءه لم يكن إلى الإسلام ولا إلى العروبة ، ولكن إلى حزب عدوٍّ للإسلام والعروبة معًا ، إنَّه الحزب القومى السورى وهو حزب خبيث لئيم تقوم فلسفته على أنَّ لسورية قومية متميزة ليستْ من العروبة والإسلام فى شىء ، إنما هى فينيقية الجذور ، وأن على سوريا أن تعود إلى فينيقيتها وهى شبيهة بدعوة الفرعونية فى مصر وهى التى أشرنا إليها ، وكان شعارها عودة مصر إلى الفرعونية وانسلاخَها عن الأمة العربية .

وبإغراء من أنطون سعادة غيّر اسمه العربى إلى أدونيس . وهو إله الخصب عند الفينيقيين وعند اليونان ، وسمعت فى حينها أنه غير دينه أيضًا وترك عقيدته الشيعية إلى المسيحية ، وقد استهل حياته الأدبية بديوان شعر سماه (دليلة) بطلاه يهودية ويهودى ، ثم ثنّى بديوان تعس اسمه (قالت لى الأرض) جميعه دون استثناء مدح فى أنطون سعادة .

أما سائر إنتاج أدونيس – باستثناء مختاراته التى سماها ديوان العرب – فهو سم زعاف يقتل فى النفس إيمانها بالله واليوم الآخر والقرآن الكريم ، لأن النغمة الرئيسية فيه هى الثورة على كل ماقضى الله وقدّر وعلى كل ماشرع وأنزل .

ولكى تتبين فظاعة المبدأ الذى انتمى إليه أدونيس وهو الحزب القومى السورى القط للقارئ لقطتين من كلام أنطون سعادة الذى جعله أدونيس مثله الأعلى .

يقول سعادة فى كتابه (نشوء الأمم) .

إن العشرين سنة التى قضاها معاوية فى سورية قد (سرْينته) او (سورْنه) أى جعلته سوريا وجهزته ببعد نظر سياسى مكنه أن ينتصر على منازعه ..

ويقول فى كتابه (المحاضرات العشر)

(لقد أنجبَتْ سوريا أَبطالا وقوادًا من سرجون إلى آسرحدون وسنحاريب ونُبوخذ نَصَّر واشور بينبال وتقلاط فلاَصر وجنُّون الكبير وهانى بعْل أعظم نابغة حرْبى فى كل العصور ويوسف العظمة الثاوى فى ميسلون) ويقول (وقد خلَّد سوريون عظام ثقافةً روحية سورية كزينون وبيار صْليبى ويوحنا فم الذهب وأفرام والعُمرى وديك الجن والكواكبى وجبران) .

هذه هى البطولات التى شهدتها سوريا وهؤلاء هم الأبطال فى نظر سعادة ، أما اليرموك وحطين ، وأما خالد وأبو عبيدة وشرحبيل ونور الدين وصلاح الدين فهؤلاء لاذكر لبطولاتهم عند أنطون سعادة الذى هو المثل الأعلى لأدونيس .

وأعود إلى نقد أدونيس وشعره فألتقط من كتابه الذى سماه (الثابت والمتحول) هذه العبارة المسمومة التى تزعم أن الإسلام عدوٌّ الإبداع يقول أدونيس (إن السبب فى العداء الذى يكنُّه العَربى للإبداع ، لكلٍّ إبداع ، هو أنَّ الثقافة العربية بشكلها الموروث هى ثقافة ذات مبنى دينى) وهو كلام ملفوف لو عرّيته لكان معناه ببساطة : إن ثقافة العرب الإسلامية هى سبب تخلفهم وكرههم للإبداع .

أما خلاصة نظريته النقدية فهى الدفاع عن مذهب اللامنتمى فى الأخلاق وفى الشعر ، ولهذا آمن بالشعر الحديث وتحمس له بكل مافيه من مفارقات وضلال وغموض بل لقد عد الغموض دليلا على روعة الشعر ..

وإلى القارئ هذا النموذج من شعره الغامض الذى يطبق به نظريته الهدامة .. قال من قصيدة عنوانها (شمس العاشقة تتدلى) ، نشرها فى كتابه (التحولات والهجرة) ص ٥٩ .

مع ذلك نبدأ الصفحة التالية :

نتحاور بالأرجل
بحبر المسام وكلماتها
فجأة
تجيء الصاعقة
نستيقظ ويجرى كلانا وراء رأسه
فى حنين السكن والاقامة
وأمواج الركض
وراء الوطن الآخر
الضائع الدائم

إنا لله وإنا إليه راجعون .. أهذا شعر يستحق أن ينشر؟ أَتحدَّى أنَّ أحدا من القراء قد فهم المقصود من هذا الهذيان الهستيرى وأنا نفسى أعترف بأنى حاولت فهم شىء من هذا البلاء فلم أستطع .

والعجيب أن صفحاتنا الأدبية تشيد بأدونيس وانتمائه إلى مذهب اجتماعى اسمه مذهب اللامنتمى . مع أن هذا المذهب

مرادف للكفر ولخطورته أرى أن أشير إلى حقيقته إشارة خاطفة .

إن مذهب اللامنتمى كما عرَّفه الأستاذ ويلسون مؤلف كتاب (اللامنتمى) يتلخص فى (أن هذا العالم ملىء بالمتناقضات ولاعلاج لهذه الحال إلا بالثورة والغضب وعدم الانتماء إلى أية قيمة أخلاقية من القيم الموروثة ، بل لابد من مواجهة العالم بكل مشاعر الحقد والكراهية) .

وإلى هذا التعريف اطمأن اللامنتمون من زملاء أدونيس فتجلى واضحًا فى شعرهم من أمثال بلند الحيدرى وأنسى الحاج ومحمد الماغوط الذى زاد على الخلاصة السابقة قوله (على اللامنتمى أن يحس باللاجدوى لأن هذا الوجود بلا موقف ولادليل ولامستقر ولامُرشد فَلَيس للامُنْتمى إلا الإحساسُ بالسأم وتمنّى الموت والأنانية الفردية ورفض كلٍّ المعطيات الخارجية) .

إنّ هذا الكلام لو تأملته لوجدته كفرًا ويأسًا من رحمة

الله ، فعقيدة المسلم هى أنَّ الانسان له هادٍ وله دليل وله مستقر وله مرشدُ وله قيمُ أخلاقية وله أمل واسع فى الله وثقة مطمئنة بقَضَائه .

إنَّ اللامنتمى فى الإسلام ترادفُ كلمة (ضالّ) والضلال طريق الكفر ، إنَّ كلَّ مسلم هو الحقيقة منتم ، لأنه ينتمى إلى الإسلام ومن هذا فاللامنتمى يعنى الكافر .

لقد كنت منذ مدة أتابع برنامجًا فى التليفزيون فلما سمعت فى حلقاته الأولى بطولات اللاَّمنتمين من أمثال أدونيس وجبران وخليل حاوى والماغوط وبلند وغيرهم رثيت لمئات الآلاف التى وضعت تحت تصرف مُعدّ البرنامج فضيَّعها لُيشيد بقوم يريدون لنا الكفر وينشرون فى أبداننا وعقولنا وأخلاقنا سمومًا قاتلة ..

ولايفوتنى أن أثبت هنا خلاصة للنظرية الشعرية التى يخضع لها اللامنتمون فى شعرهم وهى نظرية تتضح جلية فى شعر يوسف الخال وفؤاد رفقه وتوفيق صائغ وفى أفكار لويس عوض وعصام محفوظ بالإضافة إلى أدونيس وأنسى الحاج والماغوط ..

تقول هذه النظرية (إنّ الشعر شيء خارج المضمون والأفكار والشكل معا . إنه الجلسة اللغوية الشعرية المُصيبة ، السابقة قليلا لمضمونها) انه اللقط والتوهم والعلاقة الخطرة) .

وهذا الكلام وإنْ كان غيرَ مفهوم إلا أنَّ خلاصته هى أنَّ الشعر لاأهمية فيه للالفاظ وللأفكار ولاللأخلاق وحسبه أن يكون جلسة مصيبة .. والحق أن هذه النظرية وأتباعها وأمثالها جرَّت على شعرنا أكبر مصيبة .

لاتستغرب إذا أعلن اثنان ممن ذكرنا من اللامنتمين من زملاء أدونيس وهما أنسى والماغوط أنهما لايستطيعان أن ينظما أىَّ شعر موزون مقفى ومع ذلك فهما شاعران برغم أنف الشعر لأن الشعر فى نظرهما لاأهمية فيه للشكل أو المضمون ولاللوزن ولاللقافية .

وهنا لابد لى أن أعرف القراء بحقيقة لم أعرفها إلا مؤخرا وهى أن (مجّلةَ شعر) التى يرأس تحريرها يوسف الخال فى بيروت والتى جندت كل طاقتها لخدمة اللامنتمين شعرهم

ومذهبهم هذه المجلة حين سألت عن سر إمكانياتها المالية واستمرارها فى عصر أقفلت فيه الرسالة وعانت فيه المجلات الأدبية ماعانت ، علمتُ أنّ ميزانيتها مدعَّمة بمعونة سخية من جمعية أمريكية تسمى نفسها جمعية الحرية الثقافية ، وهذه الجمعية لامصدر لها إلا تبرعات من التجار اليهود فى أمريكا .

٣ – الشاعر الحر اللامنتمى عبد الوهاب البياتى – كان ماركسيًّا مندفعا ومن أخلص عملاء موسكو حتى لقد فرّ فى حقبه من حقب عمره إلى الاتحاد السوفييتى ولجأ إلى تلك الديار التى آمن إيمانًا عميقًا بمبدئها .

وقد طالعت شعره فوجدت بينه وبين تراثنا وأخلاقنا أمدًا بعيدًا ويمينًا مارأيت فى كل انتاجه نبض العاطفة البناءة للدين ولاأذكر أنه رطب لسانه فى دواوينه ببيت يذكر فيه أثر الدين فى الأخلاق ولاغرو فقد رجع من موسكو مغسول الدماغ إلا من عبادة الشيوعية .

٤ – لويس عوض – من الأدباء الأقباط فى مصر متحمس

جدا للشعر الحر وحركة الانتماء ، وحتى الآن فلا بأس لأنه لاإكراه فى الدين ، ولكل إنسان رأيه فى الأدب . وإن كان موضوع الانتماء معناه الكفر بكل القيم التى توارثتها الإنسانية .

ولكن مارأى القارئ فى هذه الواقعة الأخيرة التى كشفت من لويس عوض أمورا لانعلّق عليها ولكن نهديها لعشاق فكره الثقافى والأدبى فى كل بلد عربى آمن أدباؤه بلويس عوض ردْحًا من الزمان .

نشرت جريدة الجزيرة فى صفحة أدب وثقافة من عددها الصادر يوم الثلاثاء العاشر من ربيع الأول سنة ١٤٠٢ هـ ملخصا لكتاب ألفه الصحفى الإسرائيلى موسى إيلمون بعنوان (رحلة إلى مصر) وموسى إيلمون صهيونى له ماض فى الإرهاب وتمزيق فلسطين فقد كان فى عام ١٩٤٨ ضابطا فى الجيش الإسرائيلى يمارس الذبح والإرهاب كغيره من المجرمين .

وقد أوردت الجزيرة فى هذا الملخص تصريحًا للويس عوض أسجله كما أورده الإرهابى الصهيونى وكما نقلته الجزيرة

من كتابه .. يقول لويس عوض (أعتقد أن اللقاء المتجدد بين المصريين والإسرائيليين سيخلق وضعًا ثقافيًّا مثيرًا للاهتمام وكم أتمنى أن يحدث ذلك مثلما حدث قديما قبل خروج اليهود من مصر ، ثم يمضى الخواجة لويس فيقول إن مصر يجب أن تنفرد حضاريًّا ولذلك فعليها ألاَّ تتَّجه شرقًا إلى دمشق أو بغداد ولكن إلى الشمال والغرب حيث أوربا ، ويقول لويس إننى لست قوميا وأفتخر بأننى علمانى) . أى أن الرجل لايدين بأى دين وبالمناسبة فقد ذكر إيلمون أسماء أدباء مصريين آخرين تسابقوا كلهم إلى التقرب من اسرائيل وخصوصا الأستاذ توفيق الحكيم الذى فرض نفسه على الأدب العربى بطرق عجيبة .

.....

إن عبارات لويس عوض مزيج من الكفر ونكران الجميل لأن لويس عوض لم يرع حقًّا للعرب الذى ينتمى هو إليهم وإلى لغتهم وأدبهم . . ويعد صدقًا أو زورًا من أعلام أدبائهم .

٥ - سعيد عقل - شاعر مارونى بنى كل مجده وشهرته على الأدب العربى حتى لقد اجتمع نفر من النقاد والشعراء قبل وقت ليس ببعيد وبايعوا سعيد عقل أميرًا للشعراء وهُوَ اللقب الذى

أحرزه شوقى حين طبق شعره الآفاق وكرد لجميل الأدب العربى الذى رقى على كتفيه ..... سعيد عقل أعلن الرجل بعد بيعته بوقت قصير أن اللغة الفصحى لم تعد تفى بالتعبير عن المشاعر ولابد أن تستبدل بها اللهجات العامية وتستبدل بحروفها الحروف اللاتينية ، وكتطبيق عملى للفكرة الخبيثة طلع علينا أمير الشعراء الجاحد الكنود بديوان سماه (يَارا) نظم قصائده بالعربية ولكنه كتبه بحروف لاتينية بحجة أنَّ الاملاء العربىَّ مشكلة ، فكلمة (هذا) ليس لها ألف وكلمة (حضروا) لها ألف لاتلفظ والحق أن هذا ليس هو السبب ، ولكنّ وراءَ الأمر نعرةً فينيقيةً وحقدا صليبيا نفَّس عنهما أثناء الفتنة العمياء فى لبنان بأن جمع حوله عصابة من المجرمين سماها (حراس الأرز) وجعل شعارها قتل الغرباء وهو يعنى بالغرباء العرب المسلمين .

٦ – وأخيراً لابد أن أكشف وجه الصنم الغربى الذى طاف من حوله كل الرواد الأوائل من الشعر الحر لأزيح عن وجههِ قناع الغموض وأجلّى حقيقته بالوقائع ألا وهو ت. س. إليوت T. S. Eliot وهو أكثر شعراء الغرب تأثيراً فى شعرائنا المعاصرين العرب من دعاة الشعر المنثور فقد سبَّح أدباؤنا بحمده

واتخذوا إنتاجه نموذجًا فوق النقاش والتمحيص حتى لا تكاد تسمع محاضرًا فى النقد إلا ويجعل لازمَة كلامِه : قال الأستاذ ت. س. إليوت . . وتُطالع فى الكتب سيرة نازك والبياتى والسياب وحجازى وصلاح عبدالصبور وأدونيس . . فتطالعك فى كل ترجمة لهم : (لقد تأثر الشاعر فى أدبه بالشاعر ت. س. إليوت تأثرًا طبع إنتاجه بآراء هذا الأستاذ العملاق) .

وهنا أرى لزاماً أن أسرد بعض الحقائق عن هذا العملاق وهى حقائق نشر معظمها أستاذنا عميد الأدب العربى فى السودان الدكتور عبدالله الطيب وكشف عما كان يتحلى به إليوت من استعلاء متغطرس وتعصب صليبى وولوع بوثنية اليونان والرومان وإغفال مريب لشأن العرب والمسلمين وهى تتلخص فيما يلى .

١ – هذا الشاعر أمريكى النشأة والتعليم بريطانى الجنسية وقد تخرج من جامعة هارفرد على يد أستاذ يهودى صهيونى اعترف إليوت بانه كان أستاذه العلمى الروحى معا كان ذلك الرجل أديبا يهوديا متعصبا ليهوديته اسمه عزرا باوند

Izra Pound من يهود أمريكا ، وهذا اليهودى هو الذى نشر أول إنتاج لإليوت فى هالة من الدعاية الهائلة ألا وهو قصيدته التى عنوانها The Waste Land الأرض المقفرة وقد سلط عليها من الاضواء ما جذب للشاعر الانظار وملأ به وسائل الإعلام .

٢ – الرجل كاثوليكى متعصب أعمت الصليبية بصيرته فقد لوحظ أنه فى كل إنتاجه وفى كل إشاراته الأدبية لم يذكر العرب ولا أدبهم فى حين ذكر كل آداب الدنيا قديمها وحديثها مع أن الرجل كان مطلعًا على روائع الأدب العربى كما أثبت ذلك الدكتور عبد الله الطيب .

٣ – بلغ الشاعر هذا قمة شهرته فى أوج قوة المحافل الماسونية وفى عصر لم تكن الدعاية تبرز فيه إلا من ترضى عنه الصهيونية والمحافل الماسونية وهى التى كانت وماتزال من أقوى أعمدة الصهاينة ففى السنة التى أقيمت فيها دولة اليهود الغاصبين على أرض فلسطين وهى سنة ١٩٤٨ نال اليوت جائزة نوبل ، تلك الجائزة أثبتت الوقائع والأحداث أنها تخضع للنفوذ الصهيونى ولاتمنح إلا لمن يرضى عنه اليهود حتى لقد حجبت منذ إنشائها

عن الأدباء والمفكرين والساسة العرب ، ولم تمنح عبر تاريخها إلا لعربىّ واحد مناصفة بينه وبين الإرهابى المجرم مناحيم بيجين بطل مذبحة دير يسين .

وإلى هنا أضرب صفحًا عن ذكر أسماء أخرى من أقطاب دعوة الشعر الحرّ لأنهم كثيرون جدا تضيق بذكرهم الصفحات وتختنق .. وحسبك من شر سماعُه .

* * *

حجم الجناية :

بعد هذا العرض المركز للجوّ الذى نشأ فيه الشعر الحر والمفارقات التى اكتنفت ثورته الظالمة أورد فى نقط فظاعة الجناية وفداحة الأضرار والويلات التى جرها الشعر الحر على شعرنا وأدبنا وإنى وان سميتها جناية فسوف أجزّئها إلى جنايات .

الجناية الأولى : فى كل آداب الدول يعتبر الشعر هو الفن الذى يصون اللغة القومية ويخدم تراثها وينشر دعايتها ويحفظ أصولها ويطور مدلولاتها ويبعث فى صورها الحركة والحيوية ، إلا الشعر الحر عندنا ، فقد كان **معول هدم للغة الفصحى** لأنه سخر أوَّل ماسَخِر من شعرنا الأصيل . وشعرنا الأصيل هو نبع

الفصحى وديوانها الحافظ لقواعدها ومفرداتها ومنه تُنتزع شواهدها . **إن دعاة الشعر الحر هم الذين جَرَّءوا بعض النقاد المشبوهين أن يهاجموا الفصحى ويدعوا إلى العامية** ، فكان من نتيجة ذلك أن استهان الناس بالفصحى حتى الشعراء أنفسهم وأصبحت تجد من الشعراء من لايفقه شيئا من قواعد اللغة . واغتنم أعداء القرآن وأحلاس النفاق هذه الفرصة فطلعوا على الناس بآراء خبيثة لطمس اللغة الفصحى وأن تستبدل بها اللهجات العامية وهم يخفون وراء هذه الافكار هدفين لئيمين

أحدهما : أن يصبح للعرب خمس وعشرون لغة بدل لغة القرآن وبذلك يتصدعون إلى خمسة وعشرين جزءا ثم لاتمضى فترة وجيزة حتى يكون الفرق مابين العامية العراقية والعامية المغربية أكثر مما بين الإنجليزية والفرنسية وعندئذ تتقطع أوصال الأمة العربية التى هى مادة الإسلام .

وثانيهما : أن تصبح الفصحى محنطة كاللغة اللاتينية القديمة فى الأديرة وبذلك يتلاشى معها القرآن الكريم .

ولنتصور لو أن أدبنا ضعف وأن لغتنا تحنطت ثم أراد أديب أن يُترجم كتابًا علميًّا أو قطعة أدبية إلى اللغة العربية ، إن عليه أن يترجمها إلى خمس وعشرين لهجة تمتد من اللهجة الموريتانية إلى اللهجة العمانية .. إن الطالب المغربى الآن يقرأ كتب العلم بالفصحى كما يقرؤها أخوه الكويتى ويقرأ القرآن صباح مساء كما يقرؤه أخوه السعودى ، وبذلك تظل أمتنا متماسكة كالصخرة العاتية تتحطم عليها كل معاول السوء ، وهذا هو الذى حدث فى الجزائر فالفصحى والقرآن الكريم هنا اللذان حفظا على الجزائر شخصيتها العربية الاسلامية برغم سبعين سنة من جهود فرنسا فى فرنجة الجزائر .

إن زوال اللغة الفصحى أمنية لئيمة قديمة داعبت أحلام الكفر منذ مطلع القرن العشرين ومازلت أذكر واقعة تدل على الحقد اللئيم الذى تضمره الطغمة الكافرة للإسلام وتراثه ، نَشِبَتْ فى الثلاثينات معركة قلمية بين الرافعى وطه حسين رحمهما الله حول انحرافات الدكتور طه التى وردت فى كتابه « الشعر الجاهلى » وعلى الرغم من عظمة الأسلوب الكتابى عند الدكتور طه فإن الرافعى رحمه الله قد تفوق عليه وهزمه هزيمة شهد بها

القراء فى مشارق الوطن العربى ومغاربه .

فى تلك الأثناء كتبت جريدة عربية كانت تصدر فى أمريكا ويقوم عليها عملاء معروفون تعليقًا على المعركة الأدبية فبدأت مقالها تتصنع الإنصاف وتظهر الإعجاب بالرافعى وتتظاهر بخدمة الأدب ، وبعد ان استعرضت أساليب المتخاصمين قالت بالحرف الواحد (لو تَرَكَ الرافعى الجملة القرآنية والحديث النبوى من كلامه لكان هذا الأديب مرجعا فى الأسلوب لاينازع وَلَبَذَّ مذهبهُ فى البلاغة المذاهبَ كلَّها من قديم وحديث) .

أرأيت الأم من هذا الكلام الذى يزعم أن الجملة القرآنية سببٌ فى ضعف الأسلوب مع أن كفار قريش اعترفوا ببلاغة أسلوب القرآن برغم كفرهم بمحتواه ، ولقد بلغ من قوة أسلوب القرآن وتأثيره أنْ عدّه الكفارُ سِحْرا لأنه يجذب القلوب جذبًا عجيبًا ..

لكنَّ العرب المشرفين على المجلة الأمريكية العربية كانوا أشد حقدًا على القرآن من كفار قريش فلا عجب إذا رأينا بعدئذ

أحد الغيورين على القرآن الكريم وهو الأمير شكيب أرسلان يلتقط عبارة تلك المجلة الظالمة ويستفتح بها رسالة بليغة كتبها إلى الرافعى يشدّ على يده ويبارك أسلوبه ويكشف له حقد أعداء الإسلام على كتاب الله وحديث نبيه ، والرسالة منشورة فى مقدمة الطبعة الجديدة من كتاب الرافعى (تحت راية القرآن) .

الجناية الثانية : احتقار دعاة التجديد للتراث العربى وكل مايمت إليه من أسماء الأماكن وإشارات البلاغة وعمود الشعر وشواهد اللغة واشارات الدين بحجة أن ذلك التراث يمثل الرجعية والارتكاس والغريب أنهم أعلنوا العداء على تراثنا فى حين أعلنوا إعجابًا هائلاً بتراث اليونان والرومان على مافيه من وثنية وخرافة مع أن أدب اليونان عاش قبل أدبنا العربى بأكثر من ألف عام ، ثم إن أدبنا وتراثنا قد اصطبغ بطابع التوحيد الذى هو منطق العقل السليم ، بينما اصطبغ تراث اليونان بصبغة الخرافة التى نسجوها حول معارك الآلهة ومهاتراتها .

إن دعاة الشعر الحر يتقززون إذا ذكرت لهم سيرة عمر بن عبد العزيز من بين الأمراء المسلمين أو سيرة أبى الطيب من

الشعراء أو الائمة الاربعة فى الفقه أو علماء الحديث أو ذوى الذكاء الخارق كالمعرى وابن حزم وابن تيميه أو أسماء بعض الأماكن فى جزيرة العرب حيث مسارح الأدب والحب والجمال كالخيف ومنى والغضا والمنحنى والعقيق والنقا وكاظمة ، بينما يهشون ويستبشرون إذا ذَكر شاعر حديث خرافةً بابلية عن الآلهة عشتاروت أو أسطورة مصرية عن الإله أوزيريس أو فينيقية عن الإله أدونيس أو كذبةً يونانية عن الإله بروميثيوس أو أوديس أو أوديب أو خُزعبلةً حِثّية عن الإله أتيس أو حكايات مسيحية عن يوحنا المعمدان والعازر .. لاشىء يتعب قلوبهم المريضة إلا تراثنا المتلالئ بأنوار الفكر المستنير والعطاء النيّر الخيِّر وصدق الله جل وعلا إذ ذكر أسلاف هؤلاء من المنافقين فى قوله تعالى (وإذا ذُكر الله وَحْدَه اشمأزَّتْ قلوبُ الذين لايؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا همْ يستبشرون)[1] .

لقد قرأتُ قصيدةً من أشهر قصائد البياتى بعنوان (سارق النار) اعتمد فى رموزها على أسطورة يونانية تدور حول الإله

(١) الآية ٤٥ من سورة الزمر .

بروميثيوس الذى أنقذ البشرية من غضب رب الأرباب زيوس وألتقط للقارئ مقطعا منها ليرى مدى عداء هذا الشاعر لتراث لغتنا .

اللغة الصلعاء
كانت تصنع البيان والبديع
فوق رأسها باروكة
وترتدى الجناس والطِّباق
فى أروقة الملوك
وشعراء الكدية الخِصيان فى عواصم الشرق
على البطون فى الأقفاص يزحفون
ينمو القمل والطحلب فى أشعارهم

وكنت أريد أن ألتقط عدة نماذج من الإشارات الوثنية لكنى رأيت أن أريح أسماع القراء من مثل هذا الكفر . وأفضِّل بدلاً من ذلك أن أشَنِّف مسامع القراء ببعض أشعارنا الأصيلة التى يحتقر أنصار الشعر الحر أوزانها وقوافيها وإشاراتها التراثية .

شعراؤنا رحمهم الله كانت إشاراتهم أكثرها قرآنية حتى فى الغزل والهجاء .

يقول مجنون بنى عامر

أرانى إذا صلّيت يممت شطرها ... بوجهى وإن كان المصلى ورائيا
أصلى فما أدرى إذا ماذكرتها ... اثنتين صليت الضحى أم ثمانيا
ومابى إشراك ولكن حبها ... وطول الجوى أعيا الطبيب المداويا

ويقول جميل

أصلى فأبكى فى الصلاة لذكرها ... لى الويل مما يكتب الملكان
أرى كل محبوبين غيرى وغيرها ... يلذّان فى الدنيا ويلتقيان

ويقول ابن الرومى يصف جوارى قد لبسن ثيابا قصيرة

وكشفن عن سوق أقمن قيامتى ... إنَّ القِيامَة يَومَ كَشْف الساقِ

وهو هنا يقتبس من قول الله تعالى (يوم يكشفُ عَنْ سَاقٍ

ويدعَوْنَ إلى السُّجودِ فَلاَ يَسْتَطِيعونَ) [1] .

ولبعضهم فى الغزل :

إذا رَنا تقرأ فى طَرْفِه (هَيْهاتَ هَيْهاتَ لِمَا توعدون) [2]
وردفُه ينشدُ من خَلفِه (لِمثل هذَا فلْيعمل العاملون) [3]

ومع أنى لاأؤيد الاقتباس من نصوص الدين فى معرض الغزل لكننى أحببت أن أوضح مدى تأثر الشعراء القدامى بالثقافة القرآنية حتى فى الفنون التى لم يشجعها القرآن [4] .

ومن طريف الهجاء قول بعضهم يهجو قاضيًا كانت أحكامه فيها هوى :

---

(١) الآية ٤٢ من سورة القلم .

(٢) الآية ٣٦ من سورة المؤمنون

(٣) الآية ٦١ من سورة الصافات .

(٤) دعاة التجديد الزائف فى هذه الأيام قد أوقعوا ف روع من اتبعهم من الغاوين نه لا يعد مثقفا الا من يردد أسماء الأدباء اليونان والالهة المزعومة واماكن الوثنية وحتى الاستاذ العواد رحمه الله سمى أحد دواوينه قمم الأولمب - لا لسبب الا ليظهر فى عنوانه تجديد يرضى عنه المروجون وينفخوا حوله بالأبواق .

وقاضٍ تُعطلُ أَحكامُه وأَحكامُ زوجته ماضيه
فياليته لم يكن قاضيًا (ويالَيتَها كانت القاضية)

وواضح أن الشطر الأخير آية كريمة ، وفيه تَوْريةٌ رائعة لأن كلمة (القاضية) معناها الضربة القاضية التى تقضى على الرجل ، والقارئ يظنها مؤنث قاض .

ثالثا : شاعت فى الكثير من الشعر الحر كلمات فى غاية القبح وعبارات كان أدبنا عبر عصوره يربأ عنها إلاّ ما كان من بعض شعراء شاذين كذى الرقاعتين وابى الشمقمق وابن حجاج وابن سكرّة وابى العذافر وشرذمة شاذةٍ تعدُّ على أصابع القدمين .. إنَّ الشعر الحديث تكثر فيه كلمة العُهْر وعرق الأفخاذ والمواخير وغير تلك الألفاظ التى يستنكف اللسان عن ذكرها ، وسأورد بعض مقاطع لمشاهير شعراء الشكل الجديد لترى مدى فساد الذوق فى بعض عباراتهم .

هذا مقطع من قصيدة لصلاح عبد الصبور رحمه الله هى

من أشهر قصائده من ديوانه الذى سماه (أقول لكم) وعنوان القصيدة (الظل والصليب) .

هذا زمانُ السأم
نفخُ الأراجيل سأم
دبيبُ فَخْذِ امْرَأةٍ
مابين أليتى رجلْ
سأَمْ

أرأيت ما أقذر الذوق فى العبارتين الثالثة والرابعة مع أن صلاح عبد الصبور يعد زعيم الشعر الحر حتى لقد اقترح بعض عشاقه أن يُبايع أميرًا للشعراء .

ويقول البياتى فى معرض وصفه لمدينة نَيْسَابور :

كل الغزاة بصقوا فى وجهها المجدور
وضاجعوها وهى فى المخاض

وفى بابل يقول :

من ألف ألف وهى فى أسمالها
تضاجع الملوك
تفتح للطغاة ساقيها

ويقول محمد عفيفى مطر من ديوانه الأرض والدم ص ٩٩ من قصيدة ذكرتها آنفًا بعنوان : (عذابات سرية) :

شربتُ مرقَ الأحذية المنقوعة
فى الخوف والنحيب
اكلت مايخبزه الأسفلت (يعنى الزفت)
فى جوفه من حنطة التعذيب

وللشاعر نفسه من قصيدة أخرى :

مَدَائِحُ الزِّنى
وولدُ السفاح
يسأل كل عابرٍ

أن يخرج البطاقة الشخصية
مطالبًا بما يبيعه من عَرَقِ الأفخاذ

ويقول شوقى أبو شقرا من قصيدة نشرتها له مجلة شعر فى عددها ٦ سنة ٧ عام ١٩٦٣ م بعنوان : (حجر فى سروال) ، والعنوان نفسه مقزز وقد ذكرتها آنفا .. يقول أبو شقرا :

فى حذائى مسمار
وفى ذقنى شوكة
هذه ممتلكاتى
أفتح الشمسية والقنانى
أتزلج فى الجغرافيا فى عنق زرافة اصطياف .

وهنا يجتمع التعبير الغوغائى والغموض ، ويقول فى قصيدة بعنوان المدينة :

رأيت فى عيونها الطفولة اليتيمة
ضائعة تبحث فى المزابل

رأيت إنسان الغد المفروض فى المخازن
مكبلا يبصق فى عيونه الشرطىُّ
واللوطىُّ والقوَّاد

بعد أن أزعجت ذوق القراء بهذه اللقطات المنتنة أحب أن أغير هذا الجو بأبيات من الغَزَل القديم لعلىّ بن الجهم ، وهى إن لم تكن من نفس موضوع الأبيات الأولى فإن مستوى ألفاظها كان يمكن أن ينحدر مع موضوع الغزل :

طلعتْ فقالَ الناظرون إلى ... تكوينها ماأعظم الله
وبدتْ فلما شوهدت خَجلت ... والتفَّ بالتفاح خدّاها
فكأن دِعْصَ الرَمل أسفلها ... وكأنَّ غصن البانِ أعلاها

ولكى تزول الرائحة الأولى نهائيًّا نرش فى الجو هذه الرشة من عطر البلاغة من شعرنا العربى القديم على أيامه أزكى السلام ... هذه أغنية خفيفة من شعر البهاء زهير .. ولعل الأمير عبد الله الفيصل نسج على منوالها فى (ثورة الشك) .

إلى كم ذا الدلالُ وذَا التَّجنّى　　شفيتَ شماتَة الحسادِ منِى

أردُّ منِك طولَ الليل ذِكرى　　فأَبْنى ثم أَهدمُ ثم أبنى

لعلّى قد أسأتُ ولستُ أدرى　　فقلْ لى ما الذى بُلِّغْتَ عنّى

ولى فى الحب أخلاق كِرامٌ　　فسل من شئتَ عنى وامتحنّى

حبيبى كلُّ شىء منكَ عندى　　جميلٌ ماعدَا الاعراضَ عنّى

كَملتَ ملاحةً وكُملتَ دَلاًّ　　ولكنْ ماسلمتَ من التَّجنِّى

وظنى فيكَ يا أملى جميل　　بحقكَ لاتخيبْ فيكَ ظَنِّى

الجناية الرابعة : تهجمهم على شعرائنا القدامى واتهامهم بالنثرية وعدم الصدق العاطفى وأسلوب الوعظ المباشر حتى لقد كتب بعضهم عن المتنبى فنفى عنه صفة الشاعرية وادعى أن ما قاله أبو الطيب يمكن أن يدرج تحت اسم الحكم والمواعظ وهاجم آخرون شوقى فزعموا أن شعره يتسم بالسرد والنزعة التعليمية بعيدًا عن الدفعة العاطفية الجياشة المؤثرة ، والغريب أن الشعراء المجددين فى الغرب لم يتنكروا لأسلافهم فهم يشيدون بشعراء العصور المختلفة فى انجلترا وفرنسا من أمثال شكسبير ومونتروز وبيكنْ من القُدامى ووِرْدز وِرْث وشلى وكيِتْس وبايْرون من الرومانسيين ومن الشعراء الفرنسيين لافونتين ولامرتين

وغيرهما ، أما جماعتنا هؤلاء فهم يرون أن مايهرفون به هو الشعر وأن ما أبدعه من قبلهم كانَ شيئًا آخر يرمونه بالرتابة والعقلانية والجمود العاطفى وعدم الصدق إلى غير هذه التهجمات الهدامة ..

وإنى من منطلق الاعتزاز بالتراث أتحدى أن أقدم لهؤلاء المتهجمين قصيدة من روائع أبى الطيب أو المعرى أو الشريف الرضى أو عمر بن أبى ربيعة أو جميل أو ابن زيدون أو شوقى وأراعى فى هذه القصائد أن تكون من وحى العواطف الإنسانية الشائعة كالغزل أو الشكوى ثم أكلف شعراء الشكل الجديد أن ينظموا شعرًا يؤثر فى النفوس ويمتعها عشر معشار ماتفعل القصيدة القديمة .

لقد كان لنا من قصائدنا القديمة قطع فنية علقت فى الذاكرات وشُرحتْ شروحًا ساطعة ، وامتعت المنشدين عبر الأجيال كمعلقة زهير ولامية العرب وبانت سعاد ونُعْميَّة عمر ابن أبى ربيعة ويائيّة قيس العامرى ورائية أبى فراس وعيديَّة أبى الطيب ومرثية أبى العلاء ونونية ابن زيدون وعينية ابن زريق ولاميةِ العجم ... فأرونى قصيدة من شعر هؤلاء يمكن أن تمتع وتطرب أو تحفظ .

ورحم الله أبا الطيب فقد كان كأنما ينظر بعين الغيب إلى هؤلاء الحاقدين حين قال هذه الأبيات السبعة يُعرِّض فيها بِمَن أنكروا عليه الإبداع ولم يتذوقوا حلاوة البلاغة .. قال رحمه الله :

وإذا خَفِيتُ على الغبىِّ فَعَاذِرٌ   ألاَّ ترانى مقلة عمياءُ

وقال :

وكمْ من عائبٍ قولاً سليمًا   وآفتُهُ من الفهم السقيمِ

وقال رحمه الله :

ومن يك ذا فم مرٍّ مريض   يجد مرًّا به الماء الزّلالا

وقال :

وإذا أتتك مذَمتى من ناقص   فهى الشَّهادة لى بأنى كاملُ

وقال رحمه الله :

بذى الغباوةِ من أشْعارنا ضَرَرُ   كما يضرّ عبيرُ الوَرْدِ بالجُعَلِ

وقال يصف شعره :

إذا شاءَ أن يَلْهو بلحية أَحمق   أَراه غُبارى ثم قالَ لهُ الْحق

وماكمد الحسَّادِ شىءٌ قصدتُه   ولكنَّه من يَزْحَمِ البَحْرَ يَغْرَقِ

ولقد بلغَ من الكفر بالتراث أن تجاوزت سخريتهم الشعراء ، فشملت الحكام والخلفاء والفقهاء والمؤلفين القدامى .

ولنستمع إلى هذه القصيدة لمعين بسيسو وهو ممن كرّس كلَّ حياته ودخل السجون وحملَ العذاب فى خدمة الماركسية التى اعتبرها دينه ، يقول مستهزئًا بالتراث الماضى وبأعلام تاريخنا من ملوك وفقهاء وعلماء ، بل ويهزأ من طريقة الإسناد فى الحديث الشريف فى قصيدة بعنوان : (مقامة إلى بديع الزمان) من ديوانه « الأشجار تموت واقفة » :

حدَّثنى وراقُ الكوفهْ
عن خمار فى البصرهْ
عن قاض فى بغدانْ
عن سائس خيل السلطانْ

عن جارية ، عن أحد الخصيانْ (وبعد هذا الإسناد القذر يقول) :

عن قمر الدولة حَدَّثَنى قال :
فى شمس الرابع من رمضان .
مولانا أنطقه الله فصاحْ
مَنْ يقعى خلف الأبواب ؟
من الفقهاء من الشرَّاح ؟
– مولانا فى بابك عبدك وأواءُ النَّطاحْ
وهنالك عبدُك خُفَّاشُ بنُ غراب
والشيخُ الواثق بالله بنُ مضيقْ
صاحب ألف طريق وطريقْ
تسلكه الزنديقةُ والزنديقْ
مولانا عطس ثلاثًا يرحمه الله
وانتصبتْ أذُناه وصاحْ
– إلىَّ بِوأواء النَّطَاحْ

الجناية الخامسة : هاجموا مقاييس النقد المتعارف عليها واستوردوا مقاييس من الشرق والغرب فيها تضاربات ومفارقات

جعلت القراء والشعراء فى حيرة من أمرهم هل ينتجون مايرضى ذوق ماركس أم سارتر أم كولردج أم فرويد أم دِى فينى أم إيلوار أمْ اليوت ، ولما طبقوا هذا بالمقاييس على شعرنا أسقطوا معظمه ووصموه بالفتور والسطحية وعدم الصدق وتكلف الصور إلى غير هذه التهم الظالمة .

ولكى يصبح النقد غيرَ مفيد ولكى يُحرم الأدب من توجيه النقد البناء طلعوا على القراء بكتب نقدية لايفهم الشاعر منها شيئًا ، ولقد جمعت بعضَ العبارات النقدية وطفقت أتأملها ، فوجدت كلامًا فى غاية التعقيد وإلى القارئ بعض العبارات النقدية التى أتعجب كيف يمكن تطبيقها على شعرنا .

١ – يقول الأستاذ إحسان عباس فى كتابه اتجاهات الشعر المعاصر ص٥٣ « موقف بول ايلوار الشاعر الفرنسى هو الفصْل بين القصيدة والحُلم وكذلك لابد من إلحاح على أهمية البصر فى الرسم ، أما الناحية الإحصائية فى القصيدة فهى مُنْتمى سريالى ويتصل هذا بنصاعة الصورة ووضوحها وصلابة حواشيها ، وذلك أمر يلحق بمذهب الإيماجيين أو الصوريين » .

٢ – يقول فنسان بونور : لابد فى الشعر من المزاوجة بين فيوض العقلين الواعى واللاواعى ، لأنه لاجدال فى أن الشعر هو الوسيلة لإيجاد الوحدة المفقودة فى جهاز الإنسان .

٣ – ويَنْقُل د . إحسان عباس رأيًا نقديًّا للناقد الفرنسى دونالديارت يذكِّره برأى أدونيس يقول الناقد الفرنسى .

(الشعر الحديث تكون العلاقات فيه امتدادًا للفظة حتى كأَنَّ اللفظة عمل ليس له ماضٍ مباشر) .

وماأريد أن أسترسل فى مثل هذه الآراء المعقدة التى لاتفيد الشعر شيئًا ، لأنها غير مفهومة للشعراء ولايمكن أن ينتفع الشاعر برأى لايفهمه .

إن مقاييس النقد العَرَبىّ ثابتة ، فهى تشترط فى أى عمل أدبى وخصوصًا فى الشعر أن يتعاون فيه اللفظ الجميل والمعنى الطريف الشريف والتصوير البارع فى التعبير عن صدق العاطفة والتأثير فى نفس السامع والقارئ ، فما معنى كثرة الثرثرة غير

المفهومة التى تردد أقوال سارتر وماركس وفرويد فى تقديس وعبودية .. ؟

إن النظريات النقدية التى نقلوها إلينا من الغرب حين أَسْتعرضها وأستعرضُ روادها أجدنى فى حمأة آسنة من الإلحاد والفساد وإلى القارئ البرهان منتزعًا من أفواه أصحاب النظريات :

١ – الوجودية وأتباعها من النقاد العرب يقدّسون جان بول سارتر وهو الذى يقول بالحرف الواحد (لايوجد شىء خارج عن نطاق الفكر وبالتالى لايوجد إله ، لأن الفكر لم يتصور الإله فى نطاقه ..) والمهم أن أنصار الوجودية من اللامنتمين هم الآن مصممون أن يدخلوا هذا المذهب الملحد المنحل إلى أدبنا مهما كلف الأمر من تضحيات . . وقد نجحوا إلى حد كبير ، وبؤرة الترويج لإنتاجهم هى دار مجلة شعر فى بيروت التى يشرف عليها يوسف الخال .

٢ – ناقد آخر هو بابيل الألمانى يدعو إلى نبذ الأخلاق

ويعلن ان الرجل والمرأة ما هما إلا نوع من الحيوان ، فلماذا لايتمتعان بما يتمتع به الحيوان ؟

٣ – البرناسيون من أمثال بودلير الذى كان يلقب بالشاعر الرجيم وجوته دعوا إلى الإيمان بالبوذية التى تحارب الجسد ، ثم مهّدوا لنظرية (الفنُّ للفنّ) التى جعلت الأدب بمعزل عن الفضائل والمجتمع والتراث والمعقول .

٤ – الواقعيون من أمثال فولتير وتوماس هاردى ودى بلزاك يعلنون أن الوجود شر وأنَّ الشرَّ فى الوجود هو الأصل وأما الخير فهو طارئ ، وما المرء إلا ذئب متوحش .

٥ – الفرويديون الذين ينتمى إليهم نزار يعلنون أن كل الحياة مركبة على الجنس ، وأن الطفل يرضع الجنس وهو يمص حلمة أمه والبنت تنجذب إلى أبيها بدافع الجنس ، بل إن كل هذا الكون يسيره الجنس ، وعلى الأديب أن يجعل محور إنتاجه الجنس ، وفى عقيدة هؤلاء أن الأدب يجب أن يكون انعكاسًا

لإملاءات الغريزة الجنسية وحسبك بهذا الرأى من كارثة على الأخلاق .

ومن أمثله الشعر الخاضع للفرويدية جميعُ دواوين نزار قبانى فنزار شاعر ذو موهبة شعرية هائلة ، ولكنه قد أهدر طاقته الشعرية الجبارة فى مستنقع الجنس ، وحسبك أن تقرأ له هذه الأبيات من قصيدته (الرسم بالكلمات) وهى من ديوانه الذى يحمل نفسَ عنوان القصيدة . والأبيات من الشعر العمودى :

لم يبقَ نهدٌ أسود أو أبيضٌ ... إلا زرعتُ بأرضه راياتى
لم تبق زاوية بجسم جميلة ... إلا ومرَّت فوقَها عرباتى
فصّلتُ من جلد النساء عباءةً ... وبنيتُ أهرامًا من الحلمات

ويعترف الشاعر فى آخر الأبيات أن الجنس لايكفى لإسعاد النفس وماهو إلا مسكن فقط ، تعُود بعده الآلام سيرتها فيقول .

الجنسُ كان مسكنًا جرّبته ... لم يُنسِنى حُزنى ولا أزماتى
مارستُ ألف عبادةٍ وعبادةٍ ... فوجدت أفضلَها عبادة ذاتى
كلُّ الدروبِ أمامنا ممدودةٌ ... وخلاصُنا فى الرّسم بالكلماتِ

٦ – الرمزيون : من أمثال ستيفان مالارميه الفرَنْسى وإدْجار ألن الأمريكى يرون أن الأدب إذا فهمه الناس لايسمى أدبًا وعلى الأديب أن يلف أدبه فى سُجف كثيفة من الغموض والصور المكثفة إلى درجة التعمية .

وهذه النظرية أخذ بها معظم أنصار الشعر الجديد وفرضوها على أدبنا مخالفين بذلك أهم عنصر من عناصر أدبنا عبر التاريخ وهو عنصر الوضوح الممتع والمأخذ القريب الميسر ، بل إن هذا العنصر هو أحد العناصر البلاغية فى البيان القرآنى .. يقول الله تبارك وتعالى : (ولقد يسَّرنا القرآن للذِّكر فهلْ مِنْ مُدَّكِر) (١) ويقولُ جل جلاله : (فإنّما يَسّرنَاه بلسانك لتبشِّر به المتقين وتنذرَ به قومًا لُدًّا) (٢) .

٧ – والماركسيون الذين انتمى إليهم ذات يوم السياب والبيانى ومعين يرون أن يجند الأديب نفسه لنشر أفكار ماركس وإخماد أنفاس البرجوازية بمعاول البروليتاريا (أى الشعب) ومن أجل ذلك جعلوا العبارة فى شعرهم منتزعة من بيئة أكواخ

---

(١) سورة القمر الآية ١٧ .

(٢) سورة مريم الآية ٩٧ .

الفقراء ومايكتنفها من أكوام الزبالة والأوبئة ليكون الأدب صدى لكدح العمّال ... لقد قال لى أحدهم وهو يعلمنى أيام كنت طالبًا : إنك إنْ صوَّرتَ مزبلة تحتضن معاول الكادحين خير من أن تصوِّر حديقة غناء من محيط البورجوازية الملوثة ..

وعمومًا فإن الأديب العربى الماركسى يكون لسانه عندنا وقلبه فى بلاد الناس ويردِّدُ كلمة الثورة ، لأنَّ الشيوعية لاتعيشُ إلا فى الفوضى ولاتبيض وتفرخ إلا فى المياه العكرة .. ومن هنا فإذا قيل لك هذا شاعر يسارى فاعلم يقينا أنه يستمد فكره من الفوضى والإلحاد وهذان أمران لايوافقان مجتمعنا الإسلامى . ومن ثم فلسنا فى حاجة إلى شعراء يساريين .

وماأريد أن أمضى وأعدِّد للقراء نظريات أخرى لعشرات النقاد من ذوى الأمزجة والأهواء ، فكلها يكفرُ بعضها ببعض ويلعن بعضها بعضًا ، ثم يأتى دعاة التجديد العرب ليقدسوا كفرها ولعناتها على حساب أدبنا لا لسبب إلا ليقال إن هذا الشاعر مجدد ومثقف ثقافة أجنبية ومُطَّلِعُ على الأدبِ الأجنبى .

الجناية السادسة : كان شعرنا العربى مليئًا بالنوادر والطرائف

والقطات الممتعة والأبيات التى يصلح التمثل بها فى مجالس .

فجاء هؤلاء وهاجموا وحدة البيت وطالبوا بالوحدة العضوية فى القصائد بحيث لايستطاع فهم القصيدة إلا إذا قرئت من ألفها إلى يائها .. وإنَّك لتقرأ القصيدة لشعرائنا الأصلاء مكونة من عشرة أبيات إلى خمسين بيتًا فلا يسعك وأنت تقرؤها إلا أن تتوقف وتُخرج قلمك لتسجل منها بيتًا أو أبياتًا تفيدك فى الكتابة والخطابة والحديث وشتى المناسبات ..

أما قصائدُ هؤلاء المنفلتين فهى فى زعمهم وحدة عضوية إذا فصلتَ منها بيتًا لتقرأه ، فكأنما تقطع شلوًا من الحيوان وبَعض هذه القصائد يطول حتى يُمِلّ . وإنَّك لتقرؤه فلا تدرك مايعنيه الشاعر إلا بصعوبة ، وإذا أنهيت القصيدة الطويلة العريضة لم تحصل على أى طرفة مسلية ولابيت حكيم ولاعبارة تستحق أن تحفظ لتقوّم اللسان أو تجمل الكلام .. إن قصائد أدونيس التى عنوانها (رحيل فى مدائن الغزالى) قد خدعتنى ذات يوم بدعايتها فقلت أقرأ إحداها فشعرت لقراءتها وهى بعنوان (السماء الثامنة) ، المهم أنى بعد أن أجهدت لسانى بقراءتها وأرهقت فكرى بتفسير رموزها ، وذاكرتى بمحاولة

استيعاب بعضها ، وبعد لُهاث ستمائة بيت فى أكثر من ثلاثين صفحة ، خرجت بلا شىء اللهم إلا طيوفًا من خلط وإلحاد ونقمة وإيحاءات شيطانية كقوله فى بعض مقاطعها عابثًا متلاعبًا بحادثة الإسراء .

شددتُ فوق جَسدى ثيابى
وجئتُ للصحراء
كان البراقُ واقفًا يقودُه جبريلْ
ووجهُه كآدم عيناه كوكبانْ
والجسمُ جسمُ فرس وحينما رآنى
زلزل مثلَ السَّمكَه
فى شَبَكهْ
أيقنتُ هذا زمن التناسخ – الإضاءة

(ولاحظ العقيدة البوذية فى كلمة التناسخ) .

ويمضى فى هذا الكلام المريب فيقول بعد بضع صفحات

ولفّنى جبريل وابتدأنا
نَصْعَدُ فى أَدراج

من ذهب وفضّهْ
من لؤلؤ أحمر كالقطيفهْ
كان الرغيف يصيح كالملك اهتدينا
سار أنا وضريبتى جسد المدينة
ويمضى بعد صفحتين فيقول
عرافُ قل !
- لا شىء
هذا مخبز اللغة العجينه
- لا شىء
تاريخ النساء مخدة وحنان طينة
علامة السيد كل شىء
نهدان فى يديه أوستاره
للزمن المخزون فى امرأة
يصير فوق أرضك البغى
شعائرًا للذبح أوفخاخًا أوخرزًا ملونًا

ثم يمضى متهكما ببعض مشاهد الإسراء كما وردت فى الأثر فيقول :

وانفتح الباب رأيت خلفه جهنما
رأيت غاباتٍ من الحيَّات
رأيت باكيات
يغرقن فى القطران عالقَاتْ
يغلين كالقدور موثقاتْ
يُطرحن للأفاعى
هذا جزاء نسوة يظهرنَ للغريب
هذى امرأة
صورتها كصورة الخنزير وجسمُها حمارْ
لأنها لم تغتسل من حيضها ..

وأقف هنا حتى لايضحك الشيطان من ترداد هذا الكلام الصادر عن قلب مريض ملحد يحرِّف الكلم عن مواضعه ليثير فى القلوب حيرة تطل بها على مشارف الإلحاد .

وبعد أن قرأت ستمائة بيت بين قصير وطويل وخَاطِف لم أتناول قلمًا لأسجّل بعضَها وأعتز به وإنما بصقت عن شمالى لأطرد الشيطان الذى كان يتمايل من حولى فرحًا بهذه الوساوس

التى هى من وحيه ... وصدق الله جل وعلا إذ يقول :

﴿ وإنَّ الشَّياطينَ لَيُوحون إلى أوليائهم ليجادِلُوكم وإنْ أطعتموهم إنَّكُم لَمُشْرِكون ﴾ (١)

وبعد هذه الملحمة الشيطانية التى قهقه لها إبليس أحب أن أُغَيِّر جوَّها الخانق بهذه الأبيات الموجزة لشوقى رحمه الله عن حادثة الإسراء .

يقول رحمه الله فى نهج البردة :

أسرى بك الله ليلاً إذ مَلائكه ... والرُّسْلُ فى المسجد الأقصى على قَدَم
لما خطرتَ به التفُّوا بسيدهم ... كالشُّهْب بالبدر أو كالجُندِ بالعَلَمِ
صلى وراءك منهمْ كلُّ ذى خطر ... ومن يلذْ بحبيب الله يأتَمِمِ
جُبْتَ السموات أو مافوقَهنَّ بهمْ ... على منوَّرةٍ درّية اللُّجُمِ
مشيئةُ الخالق البارى وَصَنْعته ... وقدرةُ الله فوق الشَّكِّ والتُّهَمِ

(١) سورة الأنعام الآية ١٢١ .

حتى بلغتَ سماءً لايطال لها ... على جَناح ولايُسْعى على قَدَم
وقيلَ : كلَّ نبيٍّ عند رُتْبَتِهِ ... ويامحمدُ هذا العرشُ فاستلِم

ويقول رحمه الله من همزيته فى نفس موضوع الاسراء :

يأيُّها المُسْرَى به شرفًا إلى ... ما لا تنالُ الشَّمسُ والجَوْزاء
فى كل مِنْطقةٍ حواشى نُورها ... نونٌ وأنتَ النقطةُ الزَّهْراء
والعرش حولك سُدَّةً وقوائمًا ... ومناكبُ الروح الأمين وِطَاء
والرسلُ دونَ العرش لم يُؤْذَنْ لهم ... حاشَا لغيرك موعدٌ ولقاء

ولعل القارئ يلاحظ أن كلّ بيت من هذه الأبيات يمكن أن يمتع بمفرده ويغنى بمفرده ، وهذا الأمر عند أهل الشعر الحديث يُعَدُّ من مساوى شعرنا ، لقد تهجم دعاة الشكل الجديد على التمثل بالبيت والبيتين أو الثلاثة تنتزع من القصيدة وقالوا إن شعرنا القديم تنقصه الوحدة العضوية . ولنفرضْ أنها تنقصه فلماذا لايعد هذا فضيلةً من فضائله ، لأنها تجعل كل بيت من أبياته صالحًا للامتاع والإفادة ... وإنى مورد هنا مقطوعات وأبياتًا أمتعت الناس وعبرت عن خواطرهم وعطرت المجالس والكتابة والخطابة .. وأتساءل لماذا لاتَرِدُ مثلُ هذه الأبيات فى طوايا القصائد النثرية الطِّوال المملة .

سيقولون إن قصائدنا تنظمها وحدة عضوية . ولايجوز أنْ يفصل منها شىء . ونقول لهم إن كثيرًا من قصائد الشعراء القدامى كابن الرومى كانت وحدة عضوية ، كقصيدته فى المغنية (وحيد) أو فى عتاب صديقة الشطرنجى ، ومع ذلك كان الكثير من أبياتها يمكن أن ينشد وحدهُ ويتمثّل به وحده ....

وأعود إلى إثبات بعض الأبيات التى حرُم شعرنا الحديث من أمثالها فى هذه الأيام بفضل الشعر الحر .

هذه أبيات خالدة لعمرو بن معديكرب :

ولو نارًا نفختَ بها أضاءَتْ ولكنْ أنتَ تنفخُ فى رَمادِ
لقد أسمعت لو ناديتَ حيًا ولكنْ لاحياة لمن تنادِى

* * *

ولأبى تمام :

نَقِّل فؤادك حيث شئتَ من الهَوَى ما الحبُّ إلا للحبيب الأوَّل

كم منزلٍ فى الأرض يألَفُهُ الفتى وحنينُه أبدًا لأوَّلِ مَنْزِل

بل لقد قرأت بيتًا فى الغزل فى جارية سوداء يُغْنى عن قصيدة ، يقول :

الناسُ تَعْشَقُ من خَالٌ بَوجْنَتِهِ فكيف بى وَحَبيبى كلُّه خَالُ

ومن شعر شوقى رحمه الله قوله :

وإذا أصيب النـاس فى أخـلاقهم فأَقِم عليهمْ مأتَمًـا وَعَويلاً

ولصفىِّ الدين الحِلِّى :

إنْ كنتَ لاتدرِى فتلك مصيبة أوكنتَ تَدرى فالمُصيبة أعظمُ

أما شعر أبى الطيب فحدِّث عن مواطن الحكمة فيه ولاحرج ، والحقُّ أنه ما مِن سببٍ لتهجمهم على الأبيات المستقلة المؤثرة إلا أنهم لايستطيعون أن يأتوا بمثلها ولو اجتمعوا له . فلمّا عجزوا عن ذلك قالوا كزميلهم الثعلب : هذا حامض .

الجناية السابعة : أنَّ دعاة الشعر الحديث استغلوا نفوذهم على الصحافة استغلالا ظالما فهم إذا رأوا ديوانا من الشعر الأصيل عتّموا عليه صحفيًّا وإعلاميًّا ، ولم يزالوا ينعقون من حوله وينعبون حتى يهدموه ، ولو أنهم قرءوه فى موضوعيّة وإنصاف لوجَدوا فيه من الامتاع الأدبى أكثر مما تحويه دواوينهم .

وقد تمكنوا فعلا أن يفرضوا على وسطنا الأدبى آراءهم وحسبك أن تلقى نظرة على الصفحات الأدبية والملاحق الأدبية لترى كيف أكتظت بما لايفهم من النقد والنثر المهلهل الذى يسمونه شعرا .

وإنك لتعرض ديوانك من الشعر الملتزم على بعض النقاد فى الملاحق الأدبية فتجد إهمالاً شديدا أو هجوما عنيفا بينما لايكاد يصدر ديوان من الشكل الجديد حتى تتلقفه أقلام النقاد بالاطراء والتعليق وحل الرموز والاشادة بما يمثله من تطبيق للنظريات الحديثة فى روسيا وفرنسا وانجلترا وأمريكا .

وبهذه الطريقة خوفوا كثيرين من الأدباء الملتزمين ، ورأينا كثيرا من الأدباء الأصليين إذا سئلوا عن بعض التَّوافِه من الشعر الحر يلفُّون ويدورون ويبتعدون عن الإجابة .. مخافة أن تسلُقَهم تلك الألسنة الحِداد الظالمة .. وحين قال أخونا د . يوسف عز الدين كلمة حق فى معرض محاضرته عن القلق فى الشعر الحديث سلقته ألسنة حدادٌ أشحة على الخير ومانقموا منه إلا أنه قال كلمة حق .

وفى تحقيق صحفى أجرى مع رئيس النادى الأدبى بالرياض سئل عن شعر بدر فلم يجرؤ على أن يحذِّر من انحرافات ملأت بعض دواوينه بل قال إننى استمتع بشعر بدر ويقينى أن عبد الله ابن إدريس لايستمتع أبدا بالشيوعية وأفكارها لأنه عنصر إسلامى لكنه قال ماقال تقية ان تتَّهِمه الملاحق الأدبية بالتأخر والارتكاس والجمود وعدم الاطلاع على الأدب الأجنبى .

ومن المضحك أن شعراء من أهل الأصالة أعادوا طِباعة دواوينهم فعبثوا فى طريقة الطباعة ليرضوا هؤلاء المتربصين الكارهين للأصالة ، فهم يكتبون مثلا البيت الذى نصه :

يابلادى وأنت نهلة ظمآن وشبَّابة على فَم شاعر

يكتبونها هكذا :

يابلادى

وانت نهلة

ظمآن وشبابة

على فم شاعر

وذلك لينخدع به عباد الشكل الجديد فيكفوا ألسنتهم وشرهم .

الجناية الثامنة : هذه الجناية كانت عروة المشنقة التى شنقت الشعر وجعلته لايستحق القراءة وهى التى جعلتْ الدواوين الحديثة حقيرة فى الرفوف لأن الامتاع الأدبى لايتحقق إلا بالوضوح والذى يريد أن يخلو إلى الشعر يجلو به همومه لايريد أن يَشْغَل نفسه بتحليل رموز وطلاسم وانما يريد قولا واضحا ينفذ إلى القلب فى يسر وسهولة .. لكن الشعر الحديث **أَدخل على أدبنا التعمية وجعلها ركنا من أركان بلاغته وعنصرا أساسيا من عناصره الفنية** .

لقد شهدتُ معارض الكتب التى أقيمت فى العواصم العربية فكانت استفتاء نزيها لضمائر المثقفين حول الشعر الحر ، لقد رأيت الوفود يشترون دواوين التراث ، ولم أجد إلا القليل يلتفتون إلى الشعر الحر فى شكله المنفلت .. آلاف من الناس اشتروا ديوان الحماسة والشوقيات وديوان أبى الطيب وغيرها ، بينما كان الكثيرون يقلبون الصفحات الأولى من دواوين مايسمى بالشعر الحر فلا يزيدون على أن يمطَّ أحدُهم شفتيه فى حَيْرةٍ وهو يقول ماهذه الطلاسم ؟ .. ثم يرد الكتاب إلى رفِّه فى هدوء .

إنَّ الغموض الذى يلفُّ الشعر المنثور هو نفسه مقصود لأن مجموع المحصول الفكرى فى هذا الشعر إما ضحل فاضح الضحُولة وإما منحرف يدعو إلى الانحلال وكلاهما يحتاج إلى ستر وتغطية . أذكر إننا كنا جالسين فى حجرة اللغة العربية بمعهد العاصمة النموذجى ، فلفتت نظرنا قصيدة من الشعر الحر فى ملحق أدبى فقرأها علينا أحدنا فلم نفهم منها شيئا ، فقال أحدنا إذا كان أساتذة الأدب لايفهمون هذا الشعر فمن ترى يفهمه .. فأجبته : أزيدك أن الشاعر الذى نظم القصيدة هو ممن أعرفهم معرفة جيدة .. واقسم أن الرجل نفسه لم يفهم مايقول .

وحتى لايظن القارئ أنى أركب متن الشطط والغلو أعرض عليه هذه اللقطة من قصيدة لأنسى الحاج وأَتحدى أن تُفْهَم فهما موحدا أو حتى شبه فهم .. يقول الشاعر الحر اللامنتمى الذى اعترف أنه لايستطيع نظم بيت واحد موزون مقفى :

أنتِ المدعوة
لكِ قدمان فى الصَّدَى
وفندقُ أعمى
وحذاء يطلَق بصمت التمثال
يتبدى والخلوةُ تحضُّ الشهوة
تضافرتْ وأصبحتْ النبعَ والنهَر والبَحْرَ والعُشْبَ والرقاد .

وهذه مقطوعة أخرى من ديوان (زمن القهر والغضب) بعنوان (حكاية الغول)

المدينة الحاضرة
جيب صادق
يتهدل لحم الليل
يتفسخ يتطاير محروقا

وشظايا نار
مدَّها قحط السنوات
الساعة تنقر وجه الزَّمن القادم
صدئت تلك الأرقام
وانحدرَ الميزان القائم

ترى لو تحوَّل شعرنا كلُّه إلى مثل هذه الألغاز الكاذبة الزائفة ألا تكون النتيجة الطبيعية أن يكفر الناس بالشعر ونفقد هذا الفن الجميل الحبيب الذى يرسم المثل العليا للملوك والعامة ؟ ! باعتراف معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه حين قال لجلسائه روُّوا أبناء كم جيّدَ الشِّعر فلقد هَمَمتُ أن أفرَّ يوم صفِّين لولا أبيات أَنشدتُها لعمرو بن الإطنابه الخزرجى يقول فيها :

أبتْ لى همتى وأبَى بلائى　　وأخذى الحمدَ بالثمنِ الرَّبيح
وإقدامى على المكروهِ نفْسى　　وضربى هامة البطل المشيح
وقولى كلَّما جشأتْ وجاشَتْ　　مكانَكِ تُحْمدِى أوْ تستريحى
لأَدْفعَ عن مكارمَ صالحاتٍ　　وأحمى بعد عنْ عرض صَحيح

وعلى ذكر الغموض الذى أصبح شعارًا لدعاة الشعر الحر

والمتصدرين لنصرته أذكر أنه منذ أيام قليلة عقدت ندوة فى جامعة الملك سعود بالرياض حول لغة الشعر ، فوقف أحد أعضاء الندوة يقول (علينا أن نُفَجّر اللغة) . وضرب مثلا للغة حين تنفجر بعبارة لأحد الشعراء السعوديين يصف فيه طفلا دعسته سيارة يقول (لحُمُه معجون بالطين) وأن كلمة معجون متفجرة .. فجر الله رأس الشيطان . إنَّ لغة الشعر العربى قديمًا وحديثا قد اشترط فيها أن تكون موحية تمتد مع معانيها ظلالٌ إلى جانب المعانى وقالوا أن اللفظة خارج القصيدة قد لايمتد معناها إلا فى نطاق القاموسية ولكن حين يلتقطها الشاعر يجعل دلالتها واسعة ممتدة الظلال وقد استوحى الاستاذ الشهيد سيد قطب رحمه الله هذه الوجهة النقدية حين سمى تفسيره (ظلال القرآن) ليبين أن القرآن الكريم لايكفى فيه أن تفهم معنى الكلمات فى القاموس بل أن لعبارات القرآن ظلالا واسعة تمتد وراء المعنى القاموسى . وهذا هو معنى التفجير الذى قصده الدكتور الفاضل معتقدًا أنه جاء بجديد عجزت عنه القرون الأولى .

وقديما التقط أبو فراس كلمة (أيضا) وهى كلمة عادية

جدًّا تكاد تكونَ عاميّةً فى استعمالها فسجمها فى قصيدة الورقاء سجمًا جعلها شاعرية رغم طبيعتها إذ يقول فى الحمامة

ولقد تشكُو فما أفهمُها ولقد أَشكُو فما تفهمنى

غير أنىَ بالجوى أَعرفُها وهى (أيضًا) بالجَوى تَعْرِفُنِى

الجناية التاسعة : الشعر الحر لايَعْلَق بالذاكرة ، ولايمكن أن تستعيده إلا وكتابُه بين يديك بينما الشعر الأصيل يمكنك أن تحفظه ثم تنشده فى خلواتك وتدندن به فى تهويمك وتتمثل به فى مجالسك وإنشائك ورسائلك لأن القوافى هى التى تسهل الحفظ . ولأمر ما أنزل الله جل وعلا القرآن الكريم بفواصل مقفاة لكى يسهل حفظه وتلاوته ويتيسَّر به الذكر فى الخلوة والحضور .

قرأنا أن أبا نواس كان يحفظ من غير شعره أكثر من عشرة آلاف أرجوزة وأعترف هو أن ذلك الحفظ أحكم فيه الموهبة وصقلها فهل كان يستطيع أن يحفظ شيئا لو ابتلى كما ابتلينا بالشعر الحر .

لقد حاولت أثناء عملى فى تدريس الأدب الحديث أن أفرض على الطلاب حفظ بعض نماذج من الشعر الحر ليوردوها فى اختباراتهم فلقوا مشقة كبيرة مع أنهم كانوا قد حفظوا برغبة وشوق عشرات القصائد الطوال من الشعر الأصيل .. ولهذا فقد كانت جناية الشعر الحر بتحلله من القافية نهائيا جناية شنيعة قد يكون من ثمارها السامة أن يُهجر الشعر كله .

ليس من العجب أن يحارب دعاة الشعر الحر القافية فى الشعر حتى ولو كانت قوافى متنوعة فجهالتهم الجَهْلاء باللغة لاتمكنهم أن يحفظوا كلمتين من روىٍّ واحد .

لقد اتهموا القوافى بأنها كلمات متكلفة يحضرها الشاعر من بعيد ليضعها فى أواخر الأبيات فتظل قلقة توحى بالتكلف وتنال من صفاء التجربة ، ونسوا أن الشاعر الفاهم للغة يمكن أن يجد مائة لفظ أو أكثر تليق بالقافية فى جزالة وأصالة طبيعية لايبدو معها أىّ أثر للتكلف .. وإنى مورد هنا مقطعين أحدهما من قصيدة للبحترى والآخر من قصيدة لعروة بن أذينَة .. وأتحدى

أن تستبدل أية لفظة من القافية بأجزل منها ولو قلبنا كلَّ لسان العرب .

يقول البحترى

إنَّ قَوْمِى هم الكرامُ قَديمًا   وحديثًا أبوَّة وجُدودا
يحسُنُ الذكر عنهم والأحاديثُ   إذا حدَّث الحديدُ الحديدا
فى مقامٍ تخرُّ من ضنكِهِ البيضُ   على البيضِ رُكَّعًا وسجُودا
فإذا المحل جاءَ جاءوا سيولاً   وإذا النقع ثار ثاروا أسودا

ويقول عروة بن أذينة الشاعر الفقيه رحمه الله :

إنَّ التى زعمتْ فؤادك ملَّها   خلقتْ هواكَ كما خَلقتَ هوىً لها
بيضاءُ باكرهَا النعيمُ فصاغَها   بلباقةٍ فَأدقَّها وأجلَّها
حَجَبَتْ تحيَّتَها فقلتُ لصاحبى   ما كانَ أكثرها لنا وأقلّها
فدنَا وقالَ لعلَّها معذورة   من أجل عاذِلِها فقلتُ لعلها

ولعل القارئ قد لاحظ أن القافية ليست قيدا أبدا لدى الشاعر المبدع المطلع الذى يجمع الأصالة والاطلاع اللغوى بل هى موسيقى عذبة حلوة لو حذفت لفقد الشعر الشىء الكثير ..

ولكن شتان بين شاعر دعيّ همُّه أَنْ يقتل اللغة ثم هو لاعلاقة له باللغة ومفرداتها وجمالها ، وبين شاعر يخدم لغته ويعتز بها ويحفظ قواعدها ومفرداتها ليساهم فى بناء صرح مجدها وترسيخ كيانها .

الجناية العاشرة : أباح دعاة الشعر الحر حِمَى شعرنا لكل دخيل ودعيّ فدخل إلى ساحته الجميلة أدعياء لا هم بالشعراء ولابالكتاب . فأفسدوا رواء تلك الساحة العذراء وفرضوا أنفسهم بين الشعراء وصار كل من يرصّ بضع فقرات مهووسَات بعضها تحت بعض يسمى شاعرا .. وإذا جمع ذلك الهوَس فى كتاب انبرت أقلام وأقلام ترحب بالشاعر الجديد بين الشعراء وبديوانه الرائع بين الدواوين .

لقد كانت القبيلة تحتفل إذا نبغ فيها شاعر فأصبح الآن فى كل قرية صغيرة مئات الشعراء لأن الشعر أصبح غير موزون وغير مقفى ، ولايحتاج إلى معرفة باللغة وقواعدها ويكفيك إذا أردت أن تصبح شاعرا أن تكتب كلاما بعضه تحت بعض بشرط ألا يفهم وسيأتى فى اليوم الثانى من يزعم أن (الملاّح) رمز لإنسان

العصر (والسفينة) رمز للحياة الحائرة (والظل) معناه الكرامة (والصليب) معناه العذاب .. هذه الرموز وردت فى قصيدة صلاح عبد الصبور ولم أفهمها إلا بعد أن شرحت لى ، ولاأدرى حتى الآن إن كان الشرح صحيحا .

والحق أن محررى الصفحات الأدبية ينشرون ماهب ودب ، ومن ثَم فانى أناشدهم الله إن أرادوا أن يخدموا أدبهم ولغة قرآنهم ألا ينشروا أى شكل من أشكال الشعر المنفلت نهائيا من عقال الوزن والقافية لأنهم بذلك يَعْمرونَ مظاهرة المشبوهين ويمشون فى مسيرة الهدامين ويشاركون فى موكبها غافلين أو مغفَّلين .

وقد اعتذر لى أحدهم حين لُمته على كثرةِ الشِّعر الحر فى صفحته بأن مايصلهم من الشعر الأصيل قليل فهم يملئون صفحتهم بالمحاولات . . ومحاولات الشعر الحر تستتر فيها العيوب ولاتدرك بينما تظهر الأخطاء فى الشعر العمودى بصورة واضحة .

الجناية الحادية عشرة : أطفأ دعاة الشعر الحرّ والمتصدرون لنظمه أطفأوا جذوة الفضائل وأنوارَ الأخلاق من شعرنا ويكفى أن تتصفحَ مئات الدّواوين الجديدة لترى أنَّ أدبها غير مؤدب وأنها دعوات صريحة إلى الإباحيّة . إن النبض الأخلاقى فى الشعر المنثور معدوم بل إنك لتقرأ فى تلك الدواوين دعوات مكشوفة إلى اليأس والكفر بالحياة والاندفاع وراء البهيمية واختلاق العيوب للدين وأهله والتشكيك فى الخالق جلَّ جلاله . ولولا أننى أربأ بالمحاضرة عن إيراد أمثلة موبوءة لأوردت للقرّاء مايستوجب اللعنات . ولكن تكملَ المؤامرة ويستفحل السوء . فقد وقفوا من شعر الأخلاق فى تراثنا موقف المستهزئ . فهم يقولون إن شعر الأخلاق والآداب يصدر بارد الانفعال لأنه يميل إلى التعليمية ويسوده الأسلوب الجامد الجاف ، وهم يقصدون بذلك أن تنطمس الروح الأخلاقية من التراث كما طمسوها وعفوا عليها فى شعرهم .

والحق أنَّ النزعة الأخلاقية كانت إحدى الخصائص الملازمة لأدبنا عبر العصور ، فلما جاء هؤلاء وفى أيديهم معاولُ الهدم أصابت معاولهم مقتل الأخلاق المبثوثةِ فى أدبنا لأنّهم

طمسوها فى إنتاجهم وحاربوها فى إنتاج غيرهم وسأضرب صفحا عن إيراد نماذج لاأخلاقية من الشعر الحر واكتفى بأن أقدم للقارئ لقطات من شعرنا توضِّح مواكبته عبر عصوره المختلفة للأخلاق ليتبين للقراء فداحة الخسارة التى حلت بأدبنا الحديث على أيديهم حين أطفأ الفسادُ أنواره الوضَّاءة .

يقول الحطيئة فى إحدى قصائد الهجاء :

من يفعل الخيرَ لايعدمْ جوازِيَه   لايذهبُ العرفُ بين الله والناسِ

ويقول هذا الشاعر الهجّاء نفسهُ يرسم سنن المثل العليا بقوله فى المدح :

أولئك قوم إن بَنوا أَحسَنوا البُنى   وإنْ عاهَدوا أَوْفَوا وإنْ عقدوا شَدّوا

وإنْ كانت النُّعمى عليهم جزَوْا بهَا   وإنْ أَنْعَموا لاكدَّروها ولاكَدّوا

أقِلّوا عليهمْ لاأبًا لأبيكُمْ   من اللوم أوسُدّوا المكان الذى سدّوا

وحتى فى شعر من اشتهروا بالمجون تسمع فى ومضات اليقظة الضميرية نغمةً علوية من الأخلاق .. كقول أبى نواس :

يارب إن عَظمت ذُنوبى كثرةً   فلقد علمتُ بأنَّ عفوكَ أعظمُ
إنْ كانَ لايرجوكَ إلا مُحسن   فبمنْ يلوذُ ويستغيثُ المُجرمُ
أدعوكَ ربِّ كما أمرتَ تَضرُّعًا   فإذا رَدَدْتَ يدى فَمَن ذا يَرْحَم
مالى إليك وسيلة إلا الرَّجا   وجميلُ عفوك ثم أنى مُسلِمُ

وهذه أبيات لشاعر مسيحى من مدينة حمص هو الأستاذ وصفى قرنفلى يمدح بها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مستجيبا لصوت ضميره الذى انطقه بالحق والصدق ، والحق أن كثيرين من المسيحيين مدحوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ضاربين صفحا عن التعصب الذميم ، أما دعاة الشعر الحر فعلى قدر ماطالعت فى دواوينهم لم أسمع منهم كلمة إنصاف فى وصف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأعود الآن إلى قصيدة الأستاذ قرنفلى التى يقول فيها :

ماتظاهرتُ بالهوى بل سقانى   خالصَ الحبِّ والهوى ماسقانى
أو ليس الرسولُ منقذ هذا   الكون من ظلمةِ الهوى والهوانِ
صاح بالشرق واستثار بنيه   فتنادَوْا بالفرس والرومان
ومشوا للحياة تحت لواءِ   الحقِّ صفًا موحَّد الأركانِ
فالتحياتُ والسلامُ أبا القاسمِ   تُهدَى إليك فى كلِّ آنِ

ولقد تمكن شوقى رحمه الله أن يُسَخِّر الشعرَ فى الدعوة الاسلامية وإبراز خصائص هذا الدين ومنهجه الرَّبانى فى أوامره الحكيمة التى تسعد المجتمع .

يقول رحمه الله فى الهمزية يصف الحكومة التى يرتضيها الإسلام :

فرسمت بعدك للعباد حكومة   لاسوقة فيها ولاأمراء
الله فوق الخلق فيها وحده   والناس تحت لوائها اكفاء
والدين يُسر والخلافة بيعة   والأمر شورى والحقوق قضاء

ثم يمضى فى نفس همزيته المباركة مشيدا بموقف الإسلام من صنائع البر والاحسان فيقول مخاطبا رسول الله – صلى الله عليه وسلم :

والبرّ عندك ذمة وفريضةٌ   لامنَّةٌ ممنونةٌ وجباءُ
جاءت فوحدت الزكاة سبيلَه   حتى استوى الكرماء والبخلاءُ
أنصفتَ أهلَ الفقر من أهل الغِنى   فالكل فى حق الحياة سواءُ
فلو انَّ إنسانًا تخير مِلَّةً   مااختار إلا دِينَكَ الفقراءُ

* * *

وبعد هذه القطرة من محيط الأخلاق فى شعرنا أورد هذه القطرة من بحور الفساد فى شعر أهل الشعر الحر .

إنها من شعر الشاعر اللامنتمى أمل دنقل أحد فرسان الشعر الحر فى مصر ، هذا الشاعر انفعل بمنظر مدينة السويس حين أصلاها العدوان الصهيونى نارا أحرقت معالم الجمال فيها فقال يصف ذكرياته الماضية فى تلك المدينة والذكريات ماهى إلا صدى الأخلاق ، وذكريات دنقل تعكس لنا أخلاق دنقل إذ يقول من قصيدته الوطنية العصماء :

عرفتُ هذه المدينة
سكرت فى حاناتها
وزرت أوكارَ البِغاء واللصوص
جُرحتُ فى مشاحناتها
صاحبت موسيقارها العجوز فى تواشيح الغناء
رهنت فيها خاتمى لقاء وجبة العشاء
وابتعت من (هيلانة) السجائر المهربة

وواضح أنها ذكريات مجاهد من قادة جيش إبليس يطلع علينا بشعر قال عنه النقاد الكذابون إنَّه تعبير صادق يفجر الكلمات بينما وَصَفُوا تعبير شوقى فى الهمزية بأنه تعبير من سطح العاطفة ينقصه تفجير الكلمات .. نعم إن أمل دنقل فجر الكلمات أى جعلها فاجرة ..

وقد نسأل أحد هؤلاء المجددين لماذا لانلمس فى شعرك أثَر الأخلاق والتأثر بالقرآن وسيرة النبى – صلى الله عليه وسلم – فيقول لك : أنا لاأعبر إلا عما أنفعل له . ويظلُّ السؤال المهم قائما وهو لماذا أنفعلت بخرافات الوثنية وبيئات الانحلال وعُلَب الفساد .. ولماذا أثَّرتْ فى نفسكَ دعوات الكفر والفجور ولم تنفعل نفسك ولاتأثرت بأنوار الإيمان والفضائل منبعثة من كتاب الله تعالى وحديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومن روائع التراث فى شعرنا المحبب الجميل ؟ إنَّ الجواب واضحُ وهو أنَّ الأرواحَ جنود مجندة ، وأرواح هؤلاء تنجذب إلى الشر لأنها من معدنه ومن جنوده .

الجناية الثانية عشرة : الشعر الأصيل يصلحُ للغناء لما يتمتع

به من إيقاع منظم جميل . **أما الشكل الجديد الذى طلعوا به علينا فلايصلح للغناء ولا للإنشاد**.. لقد غنت أم كلثوم نهج البردة والهمزية وغُنِّيت الموشحات الأندلسية واستمتع الناس قديما بالأصوات التى أوردها الاصبهانى فى كتاب الأغانى . فهل يستطيع ملحِّنٌ أن يلحن هذا الذى يسمى شعرا حرًّا .. وقد يقول قائل كيف تدعو إلى الغناء وقد كنت تدعو إلى الأخلاق فأقول إن الغناء هو أحد الفنون التى صحبت الإنسانية منذ نشأتها ومِن ثَمَّ فهو قد لازم الإنسانية على طول عمرها حتى أصبح لاغنى عنه . والغناء الجميل ذو المعانى السامية لاينكره الضمير .. وعلى الجملة فإن هذا الشعر المنثور قد تكشف عن صيحات مخربة هدمت أهم أركان الشعر وأخالها ستقضى عليه وعلى اللغة إذا نامت النواطير وظلت الثعالب تجوس خلال العناقيد .

* * *

الجناية الثالثة عشرة : كان شعرنا متنوع الموضوعات فيه الأدب والحكمة ، وفيه الشعر الاجتماعى والسياسى وفيه الغزل والنسيب . وفيه الحماسة والدعوة إلى الجهاد ، وفيه الوطنية

والحنين ، وفيه الشكوى والعتاب ، وفيه المطارحات ورسائل الشعراء ، وفيه المعارضات .. فجاء الشعر الحر ودعاته ليطلعوا علينا بلون واحد من الشعر فقط ، إن جميع الشعر الحر يكاد ينتظمه باب واحد هو باب الشكوى . وهم يدعمون شكواهم بثلاثة روافد من الأفكار هى السخرية والهجاء والنقمة على كل شىء . ويكفى أن تقرأ ديوانا واحدا من دعاة الشعر الحر ليغنيك عن سائر دواوينه وعلى سبيل المثال فان للدكتور خليل حاوى ثلاثة دواوين هى (نهر الرماد) و (بيادر الجوع) و (الناى والرمح) . اقرأ أول صفحات من (نهر الرماد) و (بيادر الجوع) و (الناى والرمح) ، أقرأ أول صفحات من نهر الرماد ليطالعك القلق الممجوج والغموض المرهق والتعمق الفلسفى الذى لايليق بالشعر والدوران حول الذات لأن الشاعر يفاخر أنه ينتمى إلى مذهب الوجودية الملحد المنحرف . ومن سعيد عقل يكفى أن تقرأ ديوانا واحدا من دواوينه التى تزيد على عشرة ، وهى دواوين تدل عناوينها عليها مثل رندلى وقد مومس وبنت يفتاح والمجدلية ويارا لترى نفسك بإزاء رمزية لاتخرج منها إلا بإغراء يشدك نحو الانفلات . ومن شعر الماغوط يكفيك أن تتعلم اليأس والحزن والحقد والكراهية بقراءة ديوان واحد من دواوينه

الثلاثة (غرفة بملايين الجدران) (الحزن ليس مهنتى) (حزن فى ضوء القمر) وكلها بلا وزن ولاقافية ولامفهوم . بل إنك ربما تقرأ نبذة من شعر أحدهم فتستدل بها على نفسيته وطريقته كما لو قرأت هذه النبذة من شعر بلند الحيدرى لتعكس لك صورة الرجل .. يقول فى قصيدة من ديوانه (أغانى المدينة الميتة) بعنوان (النهر الأسود) والقصيدة رمزية على سيريالية على وجودية والمهم أنها لاعلاقة لها بالاسلوب العربى الصريح إلا بالوزن والقافية ومع أنها من الشعر العمودى لكن انتماءها المعنوى يضرب بجذوره فى الشعر الحديث وهى من حيث المعنى تسير فى ركب الشعر الحر .. يقول فيها واصفا النهر الأسود فى دائرة من الخيال مركزها الجنس :

تقلّصت أمواجه شهوة

فكوّنت نهدا يناجي السماء

كأن أحلام الصبّا جمّدت

فى قدحى لحم وكأسى دماء

وانتفض المغرب فى حلْمتى

نهدين بل أنشودتى اشتهاء

لقد غنى شعراؤنا الأصليون قديما وحديثا لأنفسهم ولمجتمعاتهم ولأمتهم ولدينهم حتى لقد غنى شوقى رحمه الله للأطفال إذ نظم لهم أناشيد وطرائف وبذلك أرضوا شتى الأذواق والعواطف وولدوا فى هذه الموضوعات فنونا شتى من اللطائف والطرائف حتى إنك لتطالع الجزء الأول من الشوقيات فلا يغنيك عن قراءة (قيس وليلى) ولايكفيك عن (شوقيات الأطفال) ومثل ذلك تحس به وأنت تقرأ ديوان اسماعيل صبرى أو ديوان البحترى أو الكميت أو قطرى بن الفجاءة وغيرهم من الشعراء . فشعرهم يشدك لقراءته حتى نهاية الديوان لما فيه من طرافة الموضوعات وتنوعها .

الجناية الرابعة عشرة : الدعابات الأدبية والمطارحات وقصص الأدباء والمناسبات الطريفة والنكت البلاغية الممتعة كل هذه قد عصف بها الشعر الحر ، فلم نعد نرى فى الشعر الحديث مناسبة يمكن أن ترسم على الثغور ابتسامة لطيفة أوتبعث فى القلوب تفكهة منشطة ، وقد يجيبك أحدهم بأن حال العرب يبعث على البكاء لاعلى الابتسام وهنا نذكرهم أن شعرهم لايستدر دمع الوطنية ولكنه يبعث الاشمئزاز فى

الناس ، لقد كنا نقرأ مطارحات الشعراء ومراسلاتهم ومجالسهم ومناسبات شعرهم فنسر بمطارحات حافظ وشوقى ورسائل الرافعى ومى ومعارضة الهزليين للجديين لنسر بكل هذا ويبلغ من تشوقنا له أن نحفظه ولنستمع إلى نماذج من طرائف الشعراء القدامى التى ضيعها الشعر الحديث وحطمها على صخرة التقليد .. تغزل شاعر من ثقيف اسمه محمد النميرى فى زينب أخت الحجاج بن يوسف فقال يصفها وزميلاتها وهن يؤدين مناسك الحج :

تضوع مسكا بطنُ نعمان إذ بدت   به زينبُ فى نسوة عطرات

تهادين مابين المحصب من منى   وأقبلن لاشعثا ولاغبرات

يخبئن أطراف البنان من التقى   ويقتلن بالألحاظ مقتدرات

ولما رأت ركبَ النميرىَ أعرضت   وكنَّ من أن يلقنه حذرات

ويروى أن الحجاج ألقى عليه القبض وقال له : لقد شفع لك قولك يخبئن أطراف البنان من التقى ، ثم سأله كم كان ركب النميرى من إبل وخيل فى الموسم فقال والله ماكان إلا حمارا اتعاقب ركوبه أنا وولدى .

ومن المناسبات التى كنا نتلذذ بتردادها ماروى أن تاجرا من بغداد استورد كمية ضخمة من الخمر السوداء فكسدت عنده فلجأ إلى شاعر اسمه سعيد الدارمى لينقذه من الخسارة فنظم سعيد ثلاثة أبيات كانت سببا فى رواج البضاعة ووافر الربح حتى لم يمض ثلاثة أيام إلا وقد انقطعت الخمر السوداء من السوق .. والأبيات هى :

قلْ للمليحة فى الخمار الأسود   ماذا فعلت بناسك متعبد

قد كان شمّر للصلاة ثيابه   حتّى وقفت له بباب المسجد

ردى عليه صلاته وصيامه   لاتقتليه بحق دين محمد

ومن اللطائف أنه كان لابن سكرة الهاشمى حبيبة عرجاء فعيروه بعرجها فقال :

قالوا حبيبك أعرجٌ فأجبتهم   أن التثنى فى غصون البان

إنى أريد حديثها وأريدها   للأنس لاللجرى فى الميدان

وكنا نقرأ القصة الآتية من قصص عمر بن أبى ربيعة فنحفظها لطرافتها :

كان لعمر أخ صالح تقى اسمه الحارث بن أبى ربيعه أراد أن يغرى عمر بترك الغزل فى الحاجات فأعطاه ألف دينار على أن يرحل عن الحجاز ويقيم عند أخواله فى (لحج) فذهب عمر إلى هناك وأقام فى عيشة جافة من الحب كأنها العدم وفى ذات يوم طرب فأنشد أبياتا انتشرت فى سرعة البرق حتى سمعها الحارث رحمه الله فى الموسم فأسف على أخيه أكثر من أسفه على ماله الذى ضاع سدى والأبيات هى :

هيهات من منزل الأحباب منزلنا   إذا حللنا بسيف البحر أو عدن
واحتل أهلك أجيادا وليس لنا   إلا نصيب من التذكار والحزن
ماأنس لاأنس يوم الخيف موقفها   وموقفى وكلانا عارم الحزن
وقولها للثريا وهى باكية   والدمع منها على الخدين ذو هتن
بالله قولى له فى غير معتبة   ماذا أردت بطول المكث فى اليمن
إن كنت حاولت دنيا أو رضيت بها   فما أخذت بترك الحج من ثمن

وهذه أبيات للقاضى عبد الوهاب البغدادى وهو من معاصرى أبى العلاء تتجلى فيها شخصية القاضى وهى بعنوان (قصاص القبلة)

يقول : ونائمة قبلتها فتنبهت   وصاحت : تعالوا واطلبوا اللص بالحد
فقلت لها إنى فديتك غاصب   وماحكموا فى غاصب بسوى الرد
خذيها ولاتشكى ولاتتظلمى   وإن أنت لم ترضى فألف على العد
فقالت : قصاص يشهد العقل أنه   على كبد الجانى ألذ من الشهد
وقالت : ألم تعلن بأنك زاهد ؟   فقلت لها : مافى جمالك من زهد

ورأى الشاب الظريف صديقا له يكتم الجوى وقد أثر فيه الهجر والفراق فكتب له هذه الوصفة الطبية

لاتخف ما فعلت بك الأشواق   واشرح هواك فكلنا عشاق
قد كان يخفى الحب لولا دمعك الهامى ولولا قلبك الخفاق
لاتجزعن فلست أول مغرم   لعبت به الوجنات والأحداق
واصبر على هجر الحبيب فربما   عاد الوصال وللهوى أخلاق
فعسى يعينك من شكوت له الهوى   فى حمله فالعاشقون رفاق

إن هذه النماذج وأمثالها مما يملأ بطون أمهات الكتب الأدبية لاتساوى فى مقاييس دعاة التجديد شيئا لأنها على حد قولهم ليست أكثر من صف كلام ونحن نسألهم مافائدة الأدب إذا لم يحمل مع أفكاره امتاعا وإثارة وطرافة ؟ ومما يزيد فى حجم

البلية أنهم لايرضون أن يضيفوا منثورهم الممل إلى تراثنا الممتع لكنهم يصرون على أن يكون نثرهم المزعوم هو البديل لكل شعرنا بحيث لايعيش من شعرنا كله إلا هذا الشعر الحر ولن يهدأ لهم بال أو يقر لهم قرار إلا إذا لفظ الشعر الموسيقى أنفاسه الأخيرة وحينئذ تكون أحلامهم قد وصلت من النيل إلى الفرات .

كلمة ختامية :

بعد أن كشفت الأقنعة وعرّيت جذور المؤامرة رأيت أن أختم البحث بنداء من أعماق حبي وولائى لأمتى وللغيورين عليها ، أوجههُ إلى الإخوة الأدباء وأصحاب دور النشر فى مشارق أوطاننا ومغاربها : أن يربأوا بأنفسهم عن نشر هذا الشكل المنثور المزيف أو الاحتفاء به أو الاعتراف بأنه شعر ، وأن يربطوا بين الإنتاج وشخصية المنتج فإن رأوا أنه ملوث الماضى فلينبذوا سمومه الوبيلة وألا يرتضوا للنشر إلا أدبا رفيعا تتجلى فيه الخصائص الخالدة لأدبنا الحى الذى ارتضته أمتنا عبر حياتها الطويلة ، وهذه الخصائص هى :

١ – أن يخلو الأدب من دعوات الانحلال والفساد والهدم وأن يكون مجندًا لخدمة المثل العليا ومكارم الاخلاق .

٢ – أن يخدم اللغة العربية بصيانة فقهها وقواعدها وفصاحتها وتراثها القرآنى

٣ – أن تتوفر فيه العناصر الفنية اللازمة لكل أدب خالد وهى (روعة المعنى وجمال المبنى ونصوع الخيال وصدق العاطفة)

٤ – أن يكون الشعر موزونا على كل أحواله وألا يحرم من شكل من أشكال القافية ولو على طريقة الموشحات والمقطوعات .

٥ – أن يكون خاليا من الغموض والتعقيد مفهوما لدى المستويات المختلفة من متلقى الأمة لكى تعم به الفائدة وتستمتع به شتى الاذواق .

وخير مانختم به البحث ونتوجه به آية من كتاب الله الحكيم وحديث شريف من كلام نبيه الكريم وبيت شعر من التراث الجميل . أما الآية فقول الله تعالى (إنَّا نحنُ نزّلنَا الذّكرَ وإنَّا له لحافظُونَ) [١] .

واما الحديث الشريف فقول النبى – صلى الله عليه وسلم –

لايكن أحدكم إمعة .

وأما بيت الحكمة فهو قول شوقى رحمه الله

وانما الأمم الأخلاق مابقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وصلى الله على محمد أفصح العرب وأبلغهم والحمدلله رب العالمين .

أحمد فرج عقيلان

---

(١) الآية ٩ من سورة الحجر.